امين الهلالي

الدوحة الذابلة

بقلم : « فتى تائب »

وهى رسائل غرام تكوّن بمجموعها
قصة ممتعة فى الحب السامى كتبها
بأسلوب الشعر المنثور «فتى تائب »

منشورات مكتبة المثنى ببغداد

إهـــداء

إلى التي وهبتهـــا قلـــبي .

ولذت وإيّاهـــا (بدوحتي) .

فـكانت إليّ بنعمة الله خير حبيب .

وأكـــرم عزيز .

إلى زوجـــتي .

(الفتى النائب)

٢ مايس ١٩٤٦

مقدمة

هو فتى تائب .

عَصفت فى قلبه ريح الحبّ فدوّت فى جنباته عاتية

وصارت تعصر أجزاءه عصرا .

حتى أسالت منه عصاراته حلوة شهيّة .

فجَرَت على الورق رسوما فصيحة ناطقة .

دلّتها على ما فى نفسه من معالم الفضيلة والإيمان .

وأغرتْ فتاتَه بلذة الخلود فى النعيم الذى لا يفنى .

وأنبأتها آنئذ بهول ما هو فيه .

ولعلّها حنّت إلى تلك الفتنة .

فجاءت إليه ولـكن بعد لأى .

تغالب نفسها الماكرة .

متثاقلة تخشى أن تبتعد عن الأرض .

وتحلّق فى الأجواء متعالية بجناحين خفّاقين .

وهى لا تألو تسبيحا و إنشادا .

و إذ ونت عاجلها القدر بكبوة أعجزها عن اللحاق به .

فتولّى عنها والأسى يملأ نفسه .

حتى إذا آن الأوان .

أبدله الله حبّا بحب وسلاما بسلام .

فكان له جزاءاً وفاقا .

وهو إذ ينشر اليوم مجموعة رسائله وقصة غرامه عن ذلك الحبّ الآفل .

يريد أن يودعها للذكرى .

ويعلنها للناس صورة حيّة للفضيلة والسموّ .

فى ذمّة الله — أيها الثاوى البرىء الذى تألّق شحيحا فأنار وانبعث قويّا جبّارا ثم هوى ومات ؟

أمين الريحانى

بغداد فى ٧ حزيران ١٩٤٦

الرسالة الأولى

بادرة الحبّ تنمو وتزدهر فإذا بها

دوحة جبّارة متفرّعة الأغصان

وارفة الظل .

عزيزتى ليـــلى :

إليك هذه القصّة الفريدة :

وهى عن فتى التقى بفتاة .

وقد جاءته على استحياء تمشى كأنها الريم .

إذ يتهادى على الرمل .

فى قفره الساكن الوديع .

وهو يميس فى خيلائه ونعيمه مُتهللا آمنا .

حتى إذا وفّى الفتى لها حاجتها وأوشكت أن تنصرف .

استوقفها بلهفة وسألها عن اسمها .

فالتفتتْ إليه صامتة حيرى .

مأخوذة بهذا الموقف السحرى الغريب .

وهى لا تدرى ما ينشد المفتون .

ولعلّها غُلبت على أمرها .

فاستجمعت قواها ونطقت بصوت عذب حنون .

ثم ولّت على الفور مُدبرة لا أثر لها ولا عين .

أمّا الفتى المذهول .

فراح يشيّعها بنظرة لم يكن يتوقّع أنها تنقلب إلى بذرة .

* * *

أمّا تلك البذرة فقد نمت وترعرعت فى نفسه الوالهة .

دون أن يعلم يوما ما بأنها كانت تستقى من سلافة بدنه وعصارة قلبه .

و إذا بها بعد حين (دوحة) .

دوحة شامخة متعالية كثيرة الأغصان متينة العروق .

وقد امتدت وتفرّعت بأصـــــولها بعيدا بعيدا فى أغوار نفسه المحتسبة الصابرة .

وها هو اليوم يقف عنـــدها كما يقف الطفل أمام الجبّار من الجبال الشمّ .

* * *

وحقّ له أن يتهيّبها وهو فى حاله التى وصفت .

غير أنه راح جرىء الجنان يلوذ بكنفها العزيز فى أصباحه وأمسائه.

فى ساعات يقظته وفى لحظات سباته .

* * *

ولما أن حبته حنينها وأغرته بكثيف ظلالها وزاكى عبيرها .

أنِسَ إليها فمنحها صدره ومنحته صدرها .

ثم أخذت تطل عليه من عيونها البرّاقة الساحرة مشفقة عاطفة .

تريد أن تحتضنه بنورها وتحميه بأشعتها .

حتى أوشكت أن تدلى إليه بثمرها الشهىّ ليشبع و يرتوى .

وهو ذاك الفتى الجائع الصادى .

* * *

ومرّت شهور والفتى ساه لا يعرف من أمرها أمرا .

ولم يَدْر بأن تلك الدوحة كانت تضم فى جوفها العميق

ذاك الجوف الهائل .

أتونا من نار ولهيب .

* * *

آه . ! ماذا جرى حتى أخذ الفتى يحسّ بعد لأى

بحرارة ذلك الأتون المتّقد .

ألا خبّريه بالله عليك .

أهكذا تحمل المخلوقات طىّ أبدانها .

سعيراً يتأجج وهو لا يعلم .

* * *

أتراها أغرته ليطمئن إليها ويستكن بقربها .

حتى إذا هدأت فرائصه واستقرّ وجيب قلبه

كوّته .

كلا . . إن هذا لن يكون .

بيها لم تكن تريد به شراً على الإطلاق .

إنها والحق أرادته أن يلمس بيده سرّ الكون .

ذلك السرّ العجيب الذى لايحسّ به إلا القليل من الناس .

أولئك الذين أنعم الله عليهم .

وإذن فهل كانت بقية الناس خاسرة خائبة فى حياتها التي تعيشها هذا مالا شك فيه .

* * *

هى نار كاوية تصهر الواقين لتبلوهم .

إنها نار ملتهبة مؤلمة معذبة .

ولكنها مع ذلك جليلة عظيمة لذيذة .

والفتى مع ضعفه .

ليقدّر لها جلالها وعظمتها ويحسّ بلذتها ويتمنى دوامها .

وهو يريد أن تصهره صهرا

لتعلّمه الاحتمال وتزكّيه

فيعود إلى خالقه طاهراً رضيا

* * *

ولقد حدّثنا الفتى وهو ينهى إلينا القسم الأول من قصته !

* * *

ليلى :

انظرى إليه .

هاهو يسترق إليك النظرات الفاتنة بين حين وحين فى اجتماعه الأخير .

ألا تَرَيْنَ فيها وقدة النار .

واسمعيه إذ يقول مؤكداً :

أنا موعود بمن يبادلنى الحب فى يوم من الأيام .

وهو فى هذا على بيِّنة من ربه .

الرب الذى توسَّل إليه بأن لايقوده إلا إلى خير .

فإن كنت أنت هى تلك الموعودة فهيَّا .

هيَّا فلقد خفَّ إليك قلبى بشجنه ولوعته .

وسروره وغبطته خافقا نابضاً .

* * *

ليلى :

أنا أريد أن أسمو بالحب كى أتعالى و إياك .

نتعالى لنشرف على بهاء هذا الملكوت المقدَّس .

ونطلب من الخالق غفرانه ورضوانه .

فماذا أنت حاكمة بعد ذلك . ! ؟

الرسالة الثانيـــــة

أنّات وآهات وتوسلات وعبرات
أمام دوحـة الحبّ الباسقة .

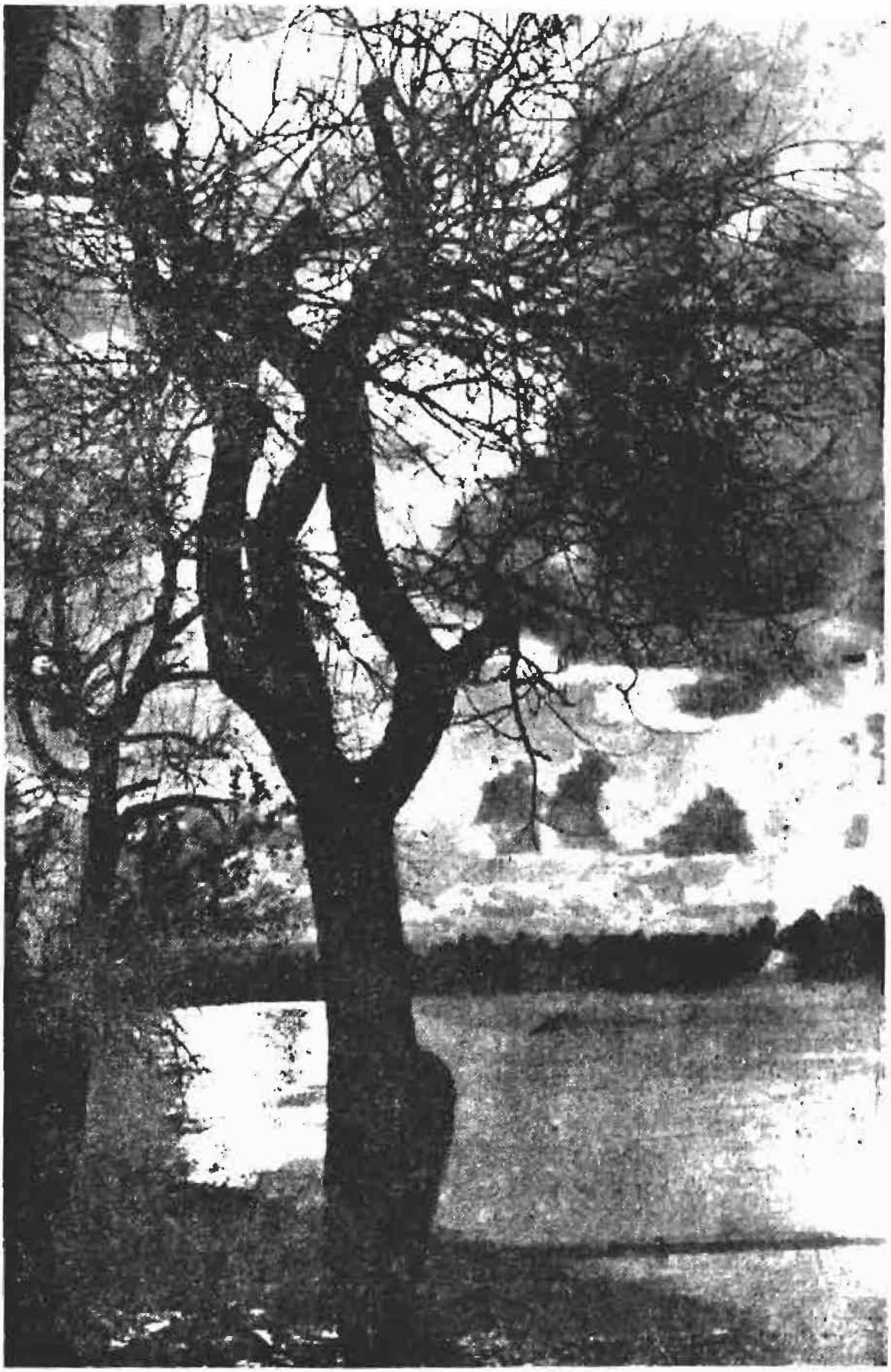

عزيزتى ليلى :

وتابع الفتى حديثه —

ما أبهاك وما أسناك .

أنت يامن خُلِقْتِ مني فى جنة فغدوتِ الكل .

فأنت الجزء والكل فى آن واحد .

الجزء المعبود الذى استخلصتْه النفس من نفسى فكان أصفى منها وأرق .

(فأنت من الحلم أنقى وأبهى وأنعم من لفتات الذكر)

* * *

أقف على منهلك العذْب الذى يجرى من نفسى إليك ليُنعشك .

ذاك النمير الرقراق الممزوج بدموع عينى .

أنت الشجرة المغروسة على ضفة نهر الجمال وتلك هى ثمارك اليانعة .

التى تصبو إليها القلوب الجائعة .

ناوليني بعض أياديك لأرقى على جذعك الجبّار ، وأقطف منك ما أشتهى .

* * *

ولكن ما بالى أراك تتعالين وتتعالين .

تى تـكاد ذروتك تصل إلى الأجواء العالية .
فتتباعد عنّى ثمارُكِ كلما علوتِ .
عجباً ! . هل امتدت عروقك فى ثنايا نفسى هذا الامتداد البعيد .
حتى أصبحتْ قادراً على حمل هيكلك الضخم .

* * *

آه ! ما أسرع وأعجب نموّك .
ارحمينى فأنا ضعيف لا أقوى على الصعود إلى الذرارى المتعالية .
إن لم تمهّدى لى السبيل وتعينى أغصانك المشتبكة .
ارفعينى — أيتها الدوحة — إليك لأرى نور الله فى أكوانه .
وأسمع فى الأعالى تسابيح الملائـكة وتراتيلها .
خُلقتِ منى بالأمس فـكنتُ عِلّة وجودكِ .
واليوم ، و بعد أن نَمَوْتِ فى ترابك الخصْب أصبحت علة وجودى .
فسبحان من أفاض عليك فى هذا الحين .
بكل تلك القوة والسلطان .

* * *

دوحتى :
هل أجازيك يوما ما وأنت العلّة الوثقى التى تربط بينى و بين ملاكى .
فتجعل منا واحداً فرداً يخلد فى الحبّ و يسمو به .

ولقد رحت أتعلّق بك كما يتعلّق الطفل مستعطفا بأذيال أمه .

ولِمَ لا تتعلّق نفسي بك وأنت ذلك الأمل الحلو المعسول الذى لا حياة لى بدونه .

أحبّك فوق ما وسعت ضلوعى وفوق مدى يدى و بلوغ ظنّى
هوى مترنّح الأعطاف طلق على سهل الشبـاب المطمئن

* * *

دوحتى :

أنت الحبّ بالذات فـكيف لا تكونين حلوة .

أنت الحبّ بالذات فـكيف لا تظمأ إليك النفوس .

أنت الحبّ بالذات فـكيف لا يترصّدك كل عابر .

أنت الحبّ فـكيف لا تبعثين النشوة والفرح والبسمات .

* * *

أما ثمراتك فشهية طيبة .

ولِمَ لا تكون كذلك وأنت التى تكوّنينها .

تكوّنينها فى معملك الدقيق وتنضجينها فوق ذلك اللهيب المشتعل .

هو لهيب يتّقد بكحول الجسـد أمّا الشرارة والنار فمن هذا الفؤاد الحار .

* * *

وهنا تنفّس الفتى وصعّد فى الهواء آهاته وكأنه أفاق من وسنة .

* * *

هى أكلة وألتقى بها .

ألتقى بملاكى المعبود .

* * *

ليلى :

أنت لا غيرك ذلك الملاك الذى يسير دوما على ناظرى .

ولقد عرفتُ بعد أنْ صرتُ أفكّر فيك حتى فى صلاتى بأن الله لم يخلق الحبّ إلاّ ليُعْبَدَ به .

أنت صنع الله والحبّ سرّك فما أجلّه وما أبرع ما يصنع .

على جبينك سيماء قُدسىّ تخشع له القلوب النابضة والأفئدة الحرّى .

يزينك العقل و يغشّيك الطهر والعفاف .

تأمّلى — كم كان الحبّ لدىّ عظيما حتى أخضعنى لعبادته .

ولكنه أليس هو الذى كان منك ولولاك لما كان .

وهو الذى يجلّك فى عينى و يرفعك إلى قلبى ولولاك لما كان .

ولقد حرت فى أيّكما أعظم .

* * *

ليـــــلى :

اسمعينى غير مأمورة .

أريدك لنفسى لكى نشقّ أمامنا طريق الهداية لله ومن أجدر بها منك .

عذّبينى وامنحينى رضاك وأنا الحىّ . !

الرسالة الثالثـــــة

تباريح الغرام فى جنـــــان الحب ورياضه .

عزيزتى ليلى :

وواصل الفتى قوله .

* * *

جنّتى أم الغرائس والورود .

ما أبهج ما ازدان به واديك من فن .

وتلك الدوحة القائمة على سفوحك الشرقية — سلاماً عليها .

لقد انتصبت على الثرى انتصاب الملك فوق عرشه المرصّع .

خبّريني أأنت التى خلعت عليها بردها الموشّى .

أم هى التى حبتك بأنواع هذه التصاوير .

فكنتِ التابع وكانت المتبوع .

آه ! . لو تعلمين سر هذه الدوحة التى خلقت منى خلقا جديداً .

لآمنتِ بما لا أشك فيه بأنها هى البارئة .

صدّقينى أنه قولىَ الحق .

* * *

انظريها — هاهى تشرف على خمائلك الخضر وتستقبل نور الشمس باسمة .

فتجمعه وتنشره على واديك نرجساً ورياحين .

وأنا واقف فى ظلالها أستمع إلى صفير البلابل والطيور .
وأتطلّع إلى هذا النهر المنساب تحت أقدامها من عيونه الباردة
فيتوزّع بين العرائش مصوّتا بخرير العذب .
فيغنّى فيها دواماً .
أغانيه الطروبة المُسكرة .
دون أن يكلّ أو ينقطع .

* * *

الله — ما هذه الفراسخ المترامية من الآس والبنفسج والأقحوان
تحيط كلها بتلك الدوحة فتجعل منها سيدة البقاع .
مهلاً — أتعرفين .
أتعرفين بأن تلك الدوحة نابعة من نفسى .
وقد رحتُ ألوذ بها عاشقاً ولن أنفك عنها مدى العمر .
لأنها دلّتنى على حمامتى الوديعة .
فراح كيانى بها مملوءاً بالوجود .

* * *

ايه — أيتها الدوحة :
أنت نعيمى ومُناى .
وأنت معبودى ورجاى .

أفضتِ علىّ من عطفك السامى مالا أستطيع إيفاءه .
بعد أن أدركتِ بأننى مخلوق لا أقدر على أن أسلك بدون الحبّ
أتيتك شاكياً .
قدتنى إلى جذعك لأرتقى إلى الثمرات .
وقد حاولت كثيراً ولمّا أستطع بعد .
فرجعت إلى واديك أحاول الفعلة المرة تلو الأخرى .
وما فى ذلك حَيْن ولا شَيْن .
ورغم أنى فى جنّة طروب .
فقد آلمنى الجزع .
ولا أدرى لِمَ كان .
ألأنّى خبت فى مهمّتى فساورتنى الشكوك وحتّ بى الجوع .
أو لعلّه السأم وحسيس اللغب والنصب أوقفنى موقف الإحجام والإقدام .
فأين عطفك إذن .
ولمن أعرض شكواى .

* * *

دوحتى :
أنت نديمي فى حياتى حتى يحين حينى .

أفرخى روعي من بيب الوجل الدابّ .

فنعم العون أنت .

إملأي فراغ هذا القلب واجبرى انكساره .

وادهشتاه — ما حلّ به . ماذا تمّ من أمره .

أوّاه — وما لهذا القلب الوجيع .

وهو فى جنته التى لا مثيل لها إلاّ فى العوالم العليا .

عجباً — أكل ذلك لا يملأ عينى ولا يشبع رغبتى .

فلم إذن لا أهرب إلى الصحراء فارّا .

لا ألوى على شىء .

* * *

دوحتى :

ستتهمينني بما لستُ فيه .

ولكن اسمعى لأبثّك مكنون صدرى وأكاشِفَك بكربى الذى استولى علىّ بعد أن ربّيتنى .

إنه الكرب الذى لا تداويه سهولك الفسيحة وغياضك الملتفّة ورياضُك الغنّاء ذات العرائش والكروم .

حناناً — أنا لا أنبو عن الحق لو تعلمين .

أنا لا أعرض عن الصدق لو تدركين .

أنا لا أتولى عنك إلا بعد أن يلفّنى سباتى الأبدى .

وتذهب نفسى شعاعا .

وقد بلوتنى فوجدتنى المخلص لك على الدوام .

وعليه فلا تتهمين ريبك بعدم النصف أو الزيغان .

* * *

دوحتى :

كوتنى نارك فطبتُ نفساً واستعذبت آلامها وحرقتها .

اختبرتِ ذلك بنفسكِ وعرفت مدى اتساع صدرى لتجار بك وقوة صبرى لشديد برهانك .

فما بالك تحرمينى أكلة الثمرة .

* * *

دوحتى :

قرّبى منى حبيبى ودعينا نعيش فى جنتك هانئين .

إنه هو الفرد الذى لا يملأ سواه فراغ هذا القلب .

إنه هو الوحيد الذى يزيل الجزع ويجبر الانكسار .

قرّبيه إلىّ لنتخاصر معاً بين هذه الخمائل المكتظّة .

قرّبيه ليشد أزرى، فنتسلّق جذعك باطمئنان ونجنى من ثمارك ما اشتهينا .

وهنا استدرك الفتى :

* * *

ليلى :

تعالى إلىّ لنجلس على هذا الكوثر البارد ونتطارح بالأشواق واللثمات .

هاتى يدك ولنسر إلى الدوحة متعانقين .

فوجودك يزيّن بعينى كل هذا الوجود .

والجنان بغيرك صحراء بلقع .

بك مجّدت الحبّ وعليه سوّدتك .

وأنا على إيمان بأنك أنت الخالقة لكل ما أنا فيه .

الخالقة التى لا يصفو العيش لى بدونها .

* * *

ليلى :

تعالى نجلس على شفاه الينبوع ونمدّ أقدامنا فى سلسباله .

نجلس متعانقين تارة ولاعبين أخرى .

ناوليني كأس الغرام العطر بعد أن تملأيه إلى أصماره .

سقتنى الدوحة لماما فأوجزتْ .

وأنا أناشدك أن تصبّ الكأس إلىّ حتى الثمالة .

و بعـــــدها :

أرهفي سمعك ولتقم راقصين على نغمات هذه القيثار المتنوّعة واسمعيني أنشدكِ .

(تجـــلّد أيها القلب فمـــا بارحك الحبّ)

(ومهما عزّ ما يصبى سأبقى أبدا أصـــبو) .

الرسالة الرابعة

يوم البـــين وما يوم البـــين فيه

اندفع الفتى وراء حمامته الشاردة

إلى الريف كيما يعيـــدها إلى

وكرها ولـــكن هيهـات . . .

حبيبتى ليـــــلى :

واثنى الفتى متحدثاً :

* * *

حمامتى الشـــاردة :

ما أجمل صَفيفُك وما أسرع قَطَاعَكِ .

انبسطتِ فى الجوّ فاحتضنك مرحّبا .

وانصببت على صدره فتلقّاك مهلّلا .

ثم حملكِ على بساط أثيره الوثير .

وعرج بك مُندفعا صوب الشمال .

قادكِ على غير رضى منّى .

وانتزعك من مرقدك فى قلبى انتزاعا .

فأخذتْ تصفر فيه بعدك اللهفة وتعصف فى جوانحه الزفرات

* * *

حمامتى الشـــاردة :

كيف ارتضيتِ هذا منه وأنت الأمينة الوفيّة .

ألم يكن الأحرى بك أن تزجريه وتردّيه

لتبقَىْ دائرة فى أفلاك موطنى .

الذى اعتدتْ أن أراك فيه .

متنقّلة من غصن إلى غصن .

محلّقة من بعد إلى بعد .

قاصدة من وكر إلى وكر .

و بصرى لا يألو طامحا نحوك ولوعا .

وقلبى لا ينفك يتوق إليك ملهوفا .

وهو صابر ينتظر أن يلفّ الزمن لفّته .

حتى يأتى يوم اللقاء فأهنأ وتألفين .

* * *

حمامتى الشـاردة :

دفعنى شوقى إليك دفعا .

وقادنى حبّى إليك طوعا .

وصاحبنى خيالك أيناسا .

فيمّمت أودّعك ، يوم البين .

وأتزوّد من ناظريك ما يعلّلنى على التأسّى والصبر .

وقد كنتْ بين الناس ولست منهم .

هذه الجموع المحتشدة الزاخرة .

تذهب وتجىء ، وتجىء وتذهب

وكأنها دُمى تتحرّك .

لا شأن لى بها و بدعوتها .

بل مكثتُ شاخصا نحو المخرج .

وقبل أن تطأ أقدامك أرض المكان

شاهدت أباك وأخاك .

أنا لا أعرفهم فماذا دلّنى عليهم .

ومن أرشدنى إليهم .

صحيح أن المحبّ يكاديكون من الأنبياء .

الذين يتوقّعون الشىء قبل أن يكون .

وذلك بتأثير أبصارهم الروحيّة وحدّة خيالهم الغريب .

* * *

ولما سطع نورُ عينيك فى وجهي كبرق خاطف سلّ من جفونك الناعسة .

ولمع صوتك العذب كأنغام القيثار .

وافترّ ثغرك البسّام كسنا الصبح .

انتفضتُ من تأمّلاتى العميقة .

وامتلأت عزما لأقف إلى جانبك وأتزوّد منك قبل الرحيل أكثر ما أستطيع .

* * *

اتبعينى قليلا أقرؤك حالى .

هو حال العاشق الصبّ المفتون .

الذى لا يرى مندوحة من أن يعيش فيك حتى الموت .

أخبرينى أيعسرُ عليكِ وأنت فى مخبأك الهادى أن تسمعى دقات فؤادى وصدى تأوهاتى .

عجبا — ألم تدركى كيف كنت أنتصب كالمسلّة لأسترق النظرات إلى وجهك من خلال النافذة .

إن كنت محبّة حقا فإنك لا شك قادرة على أن تفهمى بأننى أحببت بكل قلبى وروحى و بكل أفكارى وقواى .

* * *

حمامتى الشاردة :

ورغم كل تلك العيون المتيقّظة المتربّصة .

اندفعتُ وراءك لأناجيك همسا .

وأقدّم إليك هديّتى التافهة .

لتكون عندك سلوى وذكرى .

علّك تقرأين فلا ينسيك الشيطان ذكراى وأنت صاعدة .

هى هديّة ذات رموز .

لا أشك قط فى أنك ستدركين حقيقتها .

فالكتاب الأول كتاب شعرى لتائه مثلى فى جنّات غرامه .

والكتاب الثانى قصة ، فيه الكثير مما ينقشه القدر فوق جبين المحبّين .

والكتاب الثالث حكم لفيلسوف أحبّ خمرته حبّا والها كحبّى لحوريّتى .

وذاك المنديل اليقق ما شأنه متصفلا .

هو عين على وجنتيك .

فاحذرى منه الحذر كلّه .

لأنه يريد أن يرسل لفتاه بعضا من أنفاسك العبقة .

* * *

إيه يوم الوداع .

لقد كنتَ يوما مشهودا .

انهمرت فيك العبرات من عينى الواحدة تلو الأخرى .

فكانت كسيل من الدرر الذائبة .

تجرى إلى حتفها دائبة .

عشرة أيّام غرّ من تاريخ حياتى الجديدة .

تتمزّق من سِفرها مُجْبَرة .

وماذا قصدتَ من هذه التجربة .

إن كنت أردت أن تطيل على الزمن الذى يقصينى عنك .
فهيهات — لأنك لا تعلم أن قلبى أقوى من صروف الزمن .

* * *

وكان ملا منص منه .
فقد دوى القطار وأنت حاذه منطلقا إلى مكانه المرتقب .

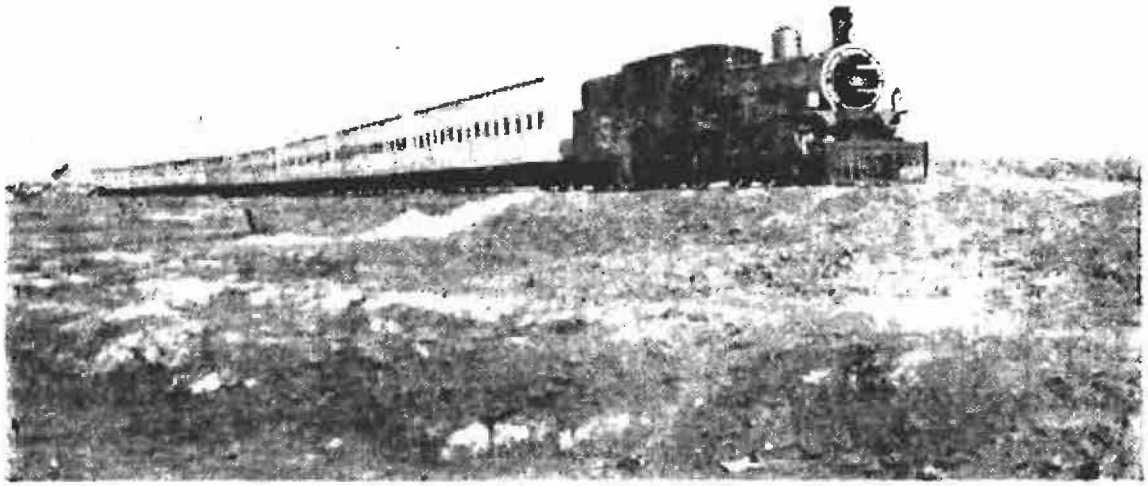

دوى فذاب قلبى لدويته .
وصفر فانفطرت كبدى لصفيره .
أواه — أيها القطار ما أقساك .
تمهل قليلا ولا تسرع بالصفير .
وسر وئيدا فقد سار فؤادى وراءك .

ألا ترحمنى وتحملنى معك من حملت .

بالله تمهّل وخذنى معك .

ولـكنك أسرعت وما باليت .

فوقفتُ أشيّعك بأنظارى الدامعة حتى غابت عنى عيونك الحمراء .

المنصوبة فى آخر عربة من عرباتك .

ولذتَ عاجلا تاركا إياى فى مكانى ساكنا جامدا .

ولقد ذاب فؤادى وذاب وذاب كلما كانت تسمع أذناى صفيرا من هذا الصفير .

* * *

وهنا تخيّل الفتى حبيبته فأخذ يناجيها :

* * *

ليلى ملاكى المحبوب :

وهل ظننتِ بأننى عُدتُ وحيدا إلى مأواى .

لا — إن هذا لا يكون .

ومثل هذه الظنون لا تتوارد إلاّ فى خواطر غير المحبين .

كنتُ أسير وإيّاك جنبا إلى جنب .

وبالرغم من النّصب الذى كان قد أخذ منى مأخذا .

رحتُ أضرب بأقدامى الأرض بقوّة هائلة .

وأرفع صدرى للمارّة كما يفعل كلّ عات عنيد .

* * *

وقد عدت تصدّقت على الفقراء و بدأت أصلّى لربى .

أصلّى له متضرّعا أن يحفظك لأجلى .

ذاك هو الله الذى هدانى إليك ودلّنى عليك .

فنعم النعمة و نعم الجود .

* * *

ليـــلى :

إنك قدّيسة طاهرة فما بالك لا تحنّين .

على هذا الولّه المتكلّم بلسان الحبّ .

المتكلم بحرقة كأنه الصامت منذ أجيال .

اقترب منى واسمعينى مرتّلا .

غب قليلا عن العيون وأنشد خفقات الغرام فى خلواتك

إن زادى من الحياة وميض رشفته العيـون من بسماتك

غب قليلا وفى دمى لك عهد أنا والحب والمنى لحيـاتك

ليـــلى :

آه — يا زهرتى لقد شفّ روحى ظمأ محـرق إلى نفحاتك

فارفعى السـتر بيننا ودعينى أتحسّى الضياء من هالاتك

الرسالة الخامسة

« ويشتد به الهيـــام ويأسره
الشوق وتقيّده اللوّعة فيبعث
لحمامته هذا النثر من العواطف » .

* * *

والنفس يمنعُها الحيـاء فترعوى وتـكاد تغلبنى إليك مرارا
لم يذكر اسمك فى حديث عارضٍ إلاّ استخفّ له الفؤاد فطارا

حبيبتى ليلى
وأردف الفتى بعد لأى :

* * *

حمامتى الوديعة :
كم أشتاق إلى قربكِ وأحنّ لهديلك .
لا شىء يفصلنى الآن عنكِ سوى هذا الفضاء الفسيح
الذى تسبحين فيه حرّة طليقة .
أنظارى تتبع جناحيك الرفرافين .
كلما حلّقت متعالية فى هذه الأجواء اللطيفة .
وخُمت على الرُبى والهضبات .
وأنت تُنشدين على الدوام تغريدك الريّان .

* * *

أما قلبى فذاك الذى تعهدينه .
لا يسكن عن خفقانه المتّصل .
ليضرب كل حين على وتيرة تلك الأجنحة المتموّجة .
واها لك — ما ضرّك لو أعرته سمعك الرهيف لحظة .
وتطلّعت إلى حركته بعينيك الحادتين .

بالله عليك — هل سمعت يوما ما لحناً أعذب من ألحانه .

وهل أبصرت فى الوجود حالا أعجب من حاله .

إن اقتربت منـــه فاض بالنشوة وانبسط حتى يكاد يتسع للكون وأفلاكه .

وللبحار وأمواجها .

وللجبال ووديانها .

و إذا ابتعدت عنه انقبض وغاض .

وغاض ما فيه ثم غاض وكأنه لم يكن .

* * *

حمامتى الوديعة :

كم ذا أطلب منك وأدعوك فلا تستجيبين .

ألا تحطّى ساعة على موطنى .

موطنى هذا الجميل الزاهى .

الذى تشرفين عليه من عل .

آه — ما أجمله وما أكمل ما حواه .

حطّى على أغصان تلك الدوحة الفينانة .

وغرّدى بها من سجعك الحنون .

ما شئت أن تغرّدى .

علّها تنتشي فتربت على ريشك الناعم بأوراقها المكهربة .

وتكويك كما كوتني .

فلا تعودين بعده قادرة على الرحيل والهجران .

* * *

حمامتي الوديعة :

أنت حمامة ولا كهذا الحمام .

هذا الحمام يشرب من مياه هاتيك السواقي الصغيرة .

ويلتقط من الحبّ المنثور على الأرض .

ويتزوى بين الأدغال والغصون الدانية .

ولا يستطيع أن يتسمّع إلى هذه الموسيقى الملائكية الغادرة .

* * *

أمّا أنت فعلى غير مثال مثّلت .

وعلى غير صورة تهيّأت .

أنت لا تشربين إلاّ من أصل الينبوع المتحدّر من قمم الجبال .

ولا تلتقطين الحبّ إلاّ من سنابله الذهبيّة المشمخرّة .

ولا تأوين إلا على الأغصان الباسقة .

المتفرّعة من أعالي تلك الدوحة .

وبذا تكونين من أقرب المقرّبين إلى ندوة الملائكة وأجواقها

حمامتى الوديعة :

تعالى إلىّ ولا تتفلتى منى فقلبى أسير هواك .

تعالى إلىّ أكرمك .

على غير الكرم الذى سمّاه الناس وابتدعوه .

أكرمك — حبّا وعنبا وماء زلالا .

حبّا أجنيه من سويداء قلبى وعنبا أحويه من جنّات نفسى وماء صافيا أستقطره لك من دمى .

وماذا تطلبين غير ذلك لتذوقى وتستمرى .

وماذا تريدين غير ذلك لتهفو جوانحك وتميل .

حلاوة مسكرة .

تنبعث من دقائقها روح الرياحين .

تتكشّف لك عن أسرار حشاشتى السائلة .

وتطلعك على عالمٍ أريجُه فوّاح .

* * *

وهنا اعتدل الفتى واسترسل :

* * *

ليلى :

تلك قوّة الحبّ المستأثرة الجبّارة التى لا توصف .

هى قوّة قاهرة لو تعلمين ، وهبتنى نشاطا غريبا .
وكأنى وأنا أمشى راجلا أركب جناحى نعامة .
فإذا سرت فى كل مكان أمعنتُ وهفهفت .
وتهاديت كالسميذع المتبختر سيّد القوم .
ومع هذا إن جئتِ إلىّ تهيّبتك .
فريق يعصب وحلقى يجفّ .
ولسانى يرتبك وفرائصى ترتعد .
كل ذلك بتأثير النشوة الكبرى .
نشوة الفرح التى تستولى علىّ .
وتغمرنى .
حتى لآنس أن تغطّى منى الرأس وتنزلنى إلى الأعماق .

* * *

ليلى :
أمرك نبيل فليرفع مداركى ويمضى بى إلى أبعاد الأفلاك القصيّة
وتربطنى بالأرواح الساكنة فى تلك العوالم والمنظومات .
حبّك جليل فليصقل مواهبى وليطهّرنى .
حتى يتركنى جوهرة لامعة .

* * *

ليلى :

أنت ياذا القد الأهيف والصوت الرخيم .

أستحلفك بربّ هاتين المقلتين الجميلتين .

وهذا الحيّا الساطع بنوره الإلهى .

أستحلفك — فى أن تعذّبنى .

ولـكن عذّبنى برفق .

لا — مهلا ما هذه الجرأة والتحدّى .

عذّبنى كما تشائين

ومشيئتك هى النافذة .

* * *

الرسالة السادسة

و بعد أن حلّقت فى الأجواء النائية
زمنا عادت فحطّت على الوكر حذرة
وهى تستمع إلى أنغامه . . .

عزيزتى ليـــلى :

ودرج الفتى يقول :

* * *

حوريّتى :

قرّة العين وأنس الفؤاد .

أهلاً بك بعد هذا الشرود القصير .

قَدَوْتِ و بقُداك اهتزّت الحياة وربت .

فتصفّقت جنّتى بالروح والأنفاس .

كانت كئيبة جافّة .

صفراء شاحبة .

كانت ساكنة جامدة .

مكفهرّة يائسة .

أمّا اليوم فقد استرجعت حيويّتها وريّها .

وتهلّلت مرحة ضاحكة .

كما لو كنتِ قد نسجت على ضلوعها أثواب السعادة .

وقد عادت الطيور ترتّل فى محراب الفجر تسابيحها الفاتنة

ومضت الشمس تسطع خلال الغصون لتمزّق الأكمام من فوق البراعم الآمنة .

واستزادت جنّتى منك فاستطربت .

واستأنفت دوحتى أنشودتها .

بعدما اكتست بأبراد الجمال وتحلّت ببراقع الحبّ .

هذا الحبّ الذى ينشر رواقه فى كل خلق .

وينطق بالنعيم فى كل شىء .

وأصبحت جنّة كما كانت .

جنّة ولا كالجنان الغنّ .

تزدحم أغصانها بالفاكهة والورود العديدة .

وتمرح فى سمائها الطيور والبلابل الغرّيدة .

جنّة يلفّها السلام والنور .

وترقص فيها الملائكة والحور .

فلله ما أعجب فعل الحبّ ، يردّ الروح المسلوبة ويبدّل العين غير العين .

* * *

أيتها الدوحة :

سلينى ما شئت .

فلقد خفّت لهفتى عندما شامت عيناى حوريّتى .
وشاهدتُ وجهها ونظرتُ إلى ابتسامتها .
إلى قامتها إلى ثوبها إلى مشيتها .
وها هى ذى تصبّ فى قلبى بحديثها أطرب الأغانى .
وتتلطّف فى العزف ثم ترسل صوتها خافتا كالبعيد من الصدى
فيقع على قلبى وقوع الماء من ذى الغلّة الصادى .
وكأنها بدأت تمسح على صدرى الملتهب .
لتزيح عنه أحماله .
وترفّه عن انقباضه .
وهكذا انبسطتْ الأسارير .
وسطع النور .
وقامت جنّتى تشدو من جديد بقصائدها العواشق .

(دنا الليل وما الليل سوى مرتع أحلامى
به تُسكرنى الذكرى به أسكب أنغامى
به يصرعني الشـــوق وتذكى نار آلامى
وإنى المغـرم المفتون قد تهت بأوهامى
فمن كأس إلى كأس لأسلو فتنـة الأنس
ولـكن عدتُ هيمانًا بها أكثر من أمس

دعانا الحبّ يا روحى لنلهو فى مغانيه
تعالى نحتسى الوصل بأسحار لياليه
ونروى الروح من خمر الهوى فوق روابيه
تعالى قد دعا الداعي وقد أمّلت داعيه
فمن كأس إلى كأس لأسلو فتنة الأنس
ولكن عدتُ هيمانا بها أكثر من أمس
مضى الليل وقد زادت بقلبى الواهى آلامى
ولكنى وجدت النفس فى محرابك السامى
كئيباً دامع العين جريحاً قلبه دام
فآها كم أناجيك وكم أرسل أنغامي
ولكنى كما كنت معنّى فى الهوى ظامى
فمن كأس إلى كأس لأسلو فتنة الأنس
ولكن عدتُ هيماناً بها أكثر من أمس)

* * *

حوريتى : —

يا لهفتا على هذا القلب الضعيف .

الذى عصرته أيّام الغيبة عصرا .

وعذبته الساعات تعذيبا .

ولشد ما كان يقاسى من بُرَحائه .
كان يخفق لذكراكِ كلما حنَّ .
وكان يضرب لرؤياك ضرباً عجيباً .
أما الحنين فدائم .
وأما اللهفة فمتّصلة .
وطالما استجار ولا من مجير .
وقد كان وللقَدَر حق فيما يحكم .
القدر الذى يدفعنى إليك للسير إلى الأمام .
وهل يقع شىء ما إلا بإذن الله وسماحه .

* * *

حوريَّتى :
كنت أسلو وللعاشقين سلواهم .
بشبيهة باك أقابلها ضحى كل يوم .
كنت أقف حيالها لأتطلَّع إلى عينيها .
وأتمتَّع بوجهها ، وأزن قدّها وأرتوى من سيمائها .
وهى لاتدرى لِمَ أفعل ذلك بحرارة .
وأمعن فى اللحظ بلهفة .
ومع هذا فما أكاد أبتعد وتبتعد عنّى .

حتى أشعر بأنى ما زلت ظامئاً إلى الوِرْد .

هذا الْوِرْد التقليدى الذى يُعْوِزُه النور الذى تمتلكينه

النور الذى تسبحين فيه .

النور الذى يحوطك كالهالة .

النور الذى يشعّ من نجمتيك البرّاقتين .

النور الذى ليس لى عنه غنى .

لئلا أضل وأضيع كئيبا خاسرا .

وذاك هو القبس الذى عشقته فيك .

قبس الحياة الطاهرة والعقل الرصين .

فبثّيه فى نفسى لتنمو وتزداد أدباً ودربة .

* * *

حوريّتى :

أصبحينى لأسير وإياك بين هذه الخمائل الوارفة .

وسلينى عن كل هذه الجنات الناضرة ، والمياه الجارية .

ألا ترين أنها راقصة شادية لك .

مبتهجة كأعظم ما يبتهج به مخلوق لوطء قدميك الناعمتين

لك الله — كيف عدت إليها بالروح بعد تلك الغيبة .

وكيف انبعثت فيها الحياة بعد ذاك الأمد .

تعالى حدثيني أحدثك بما يطربك .

وحذار من غيبة أخرى .

فما لى بذلك قِبَلٌ ولا طاقة .

* * *

أيتها الدوحة النابتة :

هاهى ذى حبيبتى معي قادمة إليك .

فاستقبليها بالترحاب والتكريم .

ألا ترينها تسير الهوينا نحوك مغرمة .

كلانا يودّ الجلوس إلى جذعك المتين .

مفترشين هذه التربة الطاهرة .

التى تظلّينها .

بظلك المنعش السمين .

نود الجلوس لنخرّ لله ساجدين .

ونرفع عيوننا نحوه مبتهلين .

فنستزيده من حبه وعطفه .

ويقيننا بأنك ستملأ ينينا بالشعور الحىّ .

لنكون فى حضرته مقدسين .

* * *

حوريتى :

هلم هلم إلىّ لنغتسل بمياه الينبوع .

ونتطهّر ثم نجلس فى ظلال دوحتنا السامية .

فنتحاذى بوجهينا هيكلها الجميل .

ونتعبّد .

بعد أن نمتزج بهذه الخلوة الإلهية الحساسة .

* * *

تعالى نروّض أجسامنا برياضة العشاق .

وما أحلاها من رياضة .

فنبدأ بتلك الشواطئ الرملية .

نطوف بها ونتحدث عندها فى يسر وأسماح

لقد طالت جولتنا فى المهامه والعباديد .

وكلّتْ أقدامنا من السير فى البوادى والفلوات

وكفانا ما قاسينا هابطين صاعدين .

ولقد هُدينا إلى هذا المحراب .

المنصوب فى قلب تلك الجنة النضرة .

فلنلذ بأكنافه هادئين وادعين .

شاكرين حامدين .

* * *

و إذا ما اتصلت بنا تلك اللحظات الصامتة .

التى لا يعرفها إلا العشاق .

فدعى يدك تسيل فى يدى حبّا .

حتى ندرك لذة الأحلام بأقوى مما يدركها المتيّمون .

ثم نغرق فى أفانين من اللهو والحبور .

ونبقى فيها أبداً ما كثين لا ننتهى .

* * *

وهنا شعر الفتى بانشراح فى صدره ، وبانطلاق فى نفسه ، فواصل نجواه .

* * *

ليلى :

لك الله — يا حوريتى ! .

ما أقوى حبى لك وأشد فرحي بوسائل تعذيبك .

هو حبّ نقىّ لا شائبة فيه .

حلّ فى قلبى عن رضى واختيار .

فملك الزمام وقاد المركبة .

فكيف أنتِ من هذا الشرف الذى يقودنى إليك.

إن هذا هو ما أقوله .

وهذا هو محض الحق .

الذى يجب أن لايبقى فيك للإنكار موضع .

فلا لوم بعد اليوم .

* * *

ليلى :

بالله عليك — ألم يشفّك الحب كما شفّنى .

لقد جرّبت فوعيت .

وأنتِ الآن تجربين مثلى مرة .

وتختبرين نفسك وتسألينها .

فالتجربة مع قساوتها لذيذة .

وهى إن طاوعتِها ستعلمكِ حتما بأن الحب لايدبَّر تدبيرا .

لأنه حريص على أن لا يصيب إلا أصحاب القلوب الكبيرة .

ومن شأنه أن يسمو بالفكر إلى أعلى عليين .

وتلك كانت تجربتى .

إذن فما بالك لاتنقادين لتقع يداك على مثل ما جنيتُ .

ومع ذلك فإنى على يقين من أنك ستشعرين وشيكا بنفس ما أنا فيه.

فلا تلبثين أن تعودى إلىّ مسرعة .

لنحيا معاً كما يحيا على أيكة غَرِدان

الرسالة السابعة

(وقد زعموا أن المحبّ إذا دنا
يملّ وإن نأى يُشفى من الوجد
بكلٍّ تداوينا فلم يشف ما بنـا
على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع
إذا كان من تهواه ليس بذى ودّ)

عزيزتى ليلى :

ومضى الفتى فى حديثه :

* * *

أنيستى :

هذا الصفير هو ذاك .

ذاكَ الذى أنذرني برحيلك .

وهذا هو الذى يبشرنى بقدومك .

هما صفيران صفَرَتْهما القاطرة ذاتها .

فلماذا أذابنى ذاك وأحيانى هذا .

عجباً ! . ألم يكونا حدَثَيْن توأمين .

ولدتهما أم واحدة .

فلم اختلفا بالإنذار والبشرى .

وَلِمَ هَزَّنى الأول ودلنى الآخر على خير

فياللغرابة .

أمر واحد يُحيي ويميت .

ونظرة واحدة تنشر وتبيد .

أو هى ذاتها تهلك وتعيد .

أشعاع واحد يهب الحياة و يسلبها .

أو قولى ينعشها و يذيبها

حتى الكلمة .

نجدها أحياناً تبرئ و بعضا تغيض .

و بهذا وذاك امتلأ العالم بالمتناقضات .

ولكن أليس هو حكم الإنسان على مايفهم ويرى .

وما درى .

أنه مخلوق يعيش فى عالم نفسه .

وقد اندسّ فيه وراح يفسر لذاته .

ظواهر الكون كما يلمحها معكوسة من على مرآته .

* * *

أنيستى :

ثلاثة أيام متعاقبة .

خرجت فيها لأراك .

كان الشوق يدفعنى لألمح ولو عن بعد وجهك الصبوح

وكان الحب جلانى فى وقفتى .

وقفتى الرهيبة التى انتظرت فيها تشريفك .

دون أن أبالى بما ألاقى فيها من عناء لايحتمل .

وأىّ عناء ذاك الذى يوقفنى على الجمر .
حتى لأحسب الدقائق ساعات .
والساعات أسابيع .
فكيف بها إذا ختمتنى بخيبة مروعة .
ألا تفزعنى وتفقد منى الرشد والوعى .
وتنزعنى إلى بحر خضم .
من الوساوس والهواجس .

* * *

هداديكَ — أيها الإنسان المنفعل .
هل فاتتك واحدة لم تلجْها .
أم هل أخطأت بالتفتيش .
كلا — ليس من عادتى السهو والنسيان
وليس من شأنى التردد والغفلة .
وما يدريني — لعلها أتمت ذلك عن قصد
فاختفت عن ناظرى .
لتزيد فى تعذيبى وإيلامى .
وما يدريني .

* * *

أما أنا فقد أمسيت وسط ذلك الحرص الفاضح .

الحرص الشديد الذى كان يعدّ علىّ الخطوات .

و يدفعنى إلى اقتحام مواقف أحجم عن الإقدام عليها عادة .

أقول أمسيت فى دور من التعنيف النفسى الجبار .

و ياله من دور تحالف والخيبة الحالة .

على أن يهدّ منى كيانى أو يكاد .

و يقطّع منى أوصالى واحدة بعد أخرى .

و إذن فَلِمَ تخلّفت عن موعدها المضروب .

هل أصابها أو من معها ما تـكره .

فأقعدهما عما ينويان .

رحماك ربى فاحفظ لى حياتها .

وأتنى بها سالمة .

* * *

أنيستى :

وهكذا كنت أرجع كل يوم وأنا لا ألوى على شىء .

أسير سير المترّح المخمور .

وأصعّد الزفرة بعد الزفرة .

محاولا أن أقتلع من صدرى أحمال الهموم .

ومع هذا فقد كنت أعاود دون أن أكلّ .

ولقد صمّمت على أن أعاود إلى الأبد .

و إلى أن أراك .

والله لهى هذه حياة الحب .

حياة الحب اللذيذة بعنائها .

الشافية بأسقامها والسعيدة بمسالكهاوالبسيطة بتعقّداتها

وفى النظرة لعزاء جميل .

(عن كل هذا العذاب المتّصل .

العذاب العذب الذى تستلذه النفس وتستطيبه الروح .

وذلك بالرغم من كل هذا الضّعف الذى ينتاب جسمها ويؤذيه

وهذا التخاذل الذى يصيبه ويُصبيه) .

* * *

أنيستى :

لقد أزمعتِ إلى جنّتى .

فأدركتِ أنها جنة مخضرّة العود وارفة الظلال دانية القطوف

وعرفتِ ما فيها من طريف وظريف .

وصفاء ونقاء .

فَلِمَ إذن تحاولين أن تحتجبي عني وتتفردين .
وإنّي لأراك تتكمشين وراء الشجر وتكمنين خلف الأوراق والغصون
متتبعة الطرق الملتوية والشعاب الوعرة .
ولا تهتدين إلا إلى سبيلي الممهّد المأمون .
تعالى إليه وانظري .
أليس هو الذي يقودنا إلى المحبّة .
ويؤدّي بنا إلى غتيل تلك الدوحة المنتصبة .
وإلى هيكلها الهادئ .
وإلى نهرها المنساب .
وإلى ينبوعها الفائر .
وإلى ميدان ورودها البديع .
يُؤدي بنا إلى الأمن والدعة .
إلى السلام والأمان .
فلماذا تتسترين وتغلين .
وتتكتّمين ولا تصرّحين .
وإلى متى تبقين وجِلة .
وهذا الحب يلقي على أهله واجباته .
وأوامره ونواهيه .

وليس لهم بعد ذلك من الخيرة من شيء .

بل ليس لهم غير الطاعة والخضوع .

* * *

أنيستى :

أنا قادر على أن أزيل من أمامك كل هذه الحُجب .

وأقطع من الطريق تلك الأشجار القائمة والأغصان العائقة .

ولكن على شريطة .

أن تمدّى يدك إلىّ وتعاهدينى على أن تعيشى معى وسط هذه الجنان (التى أقام عليها الربيع أعراسه وأمرّ الشباب عليها أنفاسه) .

وتخضعى لرعاية هذه الدوحة الباسقة .

وسترين بأنى قادر على أن أتقدم للكفاح بكل قواى .

دون أن أبالى بالأشواك الناخسة .

والحشرات الضارّة .

والأفاعى السامة .

أو ألتفت إلى الأتعاب المسرفة .

والجهود المضنية .

وما حياتى فى ذلك إلا ثمنها الرخيص .

فحياتى لحبيبتى .

حبيبتى الأولى والأخيرة .
وهى أنت وهى لك لا لغيرك
ومنذ أن أحببتك ستعيش هى بك .
وفيك ومنك وإليك إلى الأبد .

* * *

حوريتى :
وهل عرفتِ لِمَ لا أتقدّم إلى ذلك متطوّعاً .
فتعالى أصارحك .
وما فى ذلك على المحب من لوم .
لأننى أخشاك .
وكيف ؟! .
أقول : (لعلك تكونين آنئذ واقفة تصغين إلى تغريدة بلبل .
فأخشى أن أقطع عنك سماع أنشودته) .
أو لعلك تكونين آنئذ واقفة تشمين عبير زهرة .
فأخشى أن أمنع عنك شم هذا العبير .
(أو لعلك تكونين آنئذ غارقة فى حُلُم لذيذ .
فأخشى أن أطمس من ذهنك على هذا الحُلم) .
نعم أخشى أن يفوتك ذلك فتنزعجين .

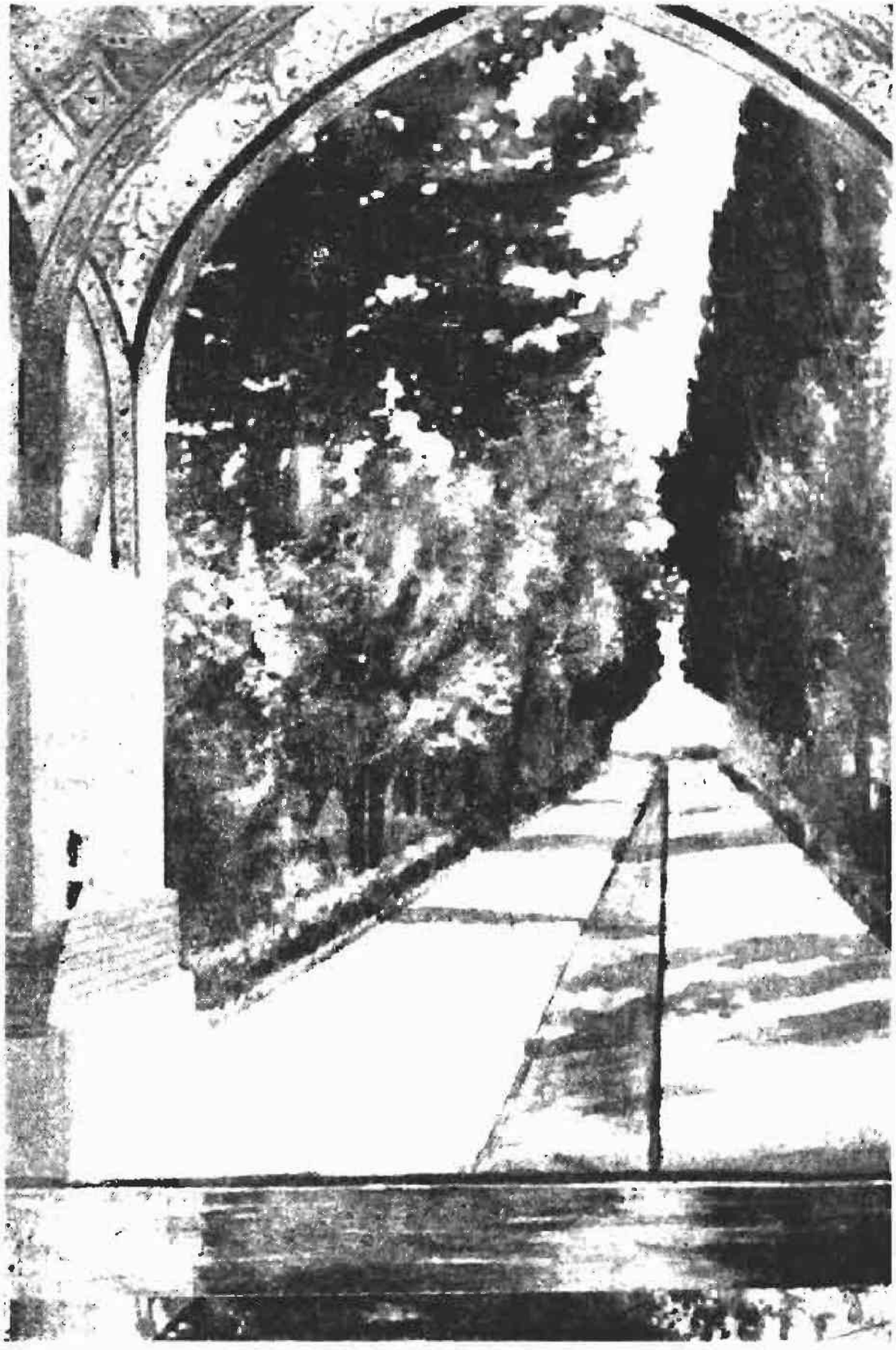

وخوفى من إزعاجك هو الذى يجعلنى مُحجما .

هذا الإزعاج الذى لا تريده نفسى لك حتى ولو كان من النسيم .

وكيف أرضى به .

وقد وضعتُك فى صندوق من بلّور .

وحملتك على كتفى لأصونك من العاديات .

وأدفع عنك مالا تحبّين .

ولو دفعتُ روحى فى سبيل ذلك ثمناً .

وهى التى وهبتها لك وستعلمين ذلك منى يقينا عندما يئين الأوان .

* * *

أنيستى :

تعالى إلىَّ مُحبّة ولنسر فى هذا الطريق .

الذى عبّدته لك بالمرمر الأبيض .

انظرى إليه .

ألا تحفّ به الكروم وتتدلّى من أعاليه عناقيدها المتلوّنة .

تعالى إلىَّ محبّة وضعى يدك فى يدى ولنسر فيه .

فإذا مشينا قليلا جنيتُ لكِ من ثمار الأغراس ما تشتهين .

وحملتُه لك فى سلال من قصب .

واتبعينى لنأمّ ذلك الغريف فنجلس تحته ونأكل .

ثم نقوم فنمرح فى أبراد هذه النعمة ونتقلّب فى أعطاف هذا النعيم

* * *

آه — ما أجمل الحياة وأنت بقربى فى الأصبحة وفى الأماسى .

(أمّا كنتِ بجانبى تضاحك النور فى الغدوّ والآصال .

على هذه الخمائل الزاهية والشطآن المخضلّة) .

فإذا ما تعبتِ واشتدّت عليك حرارة النهار .

قدتُك بيدى إلى العريش الذى أقمته لك بجوار الدوحة .

ذلك العريش الذى بنيته من الأغصان الطرّية والأوراق الخضر

ونثرتُ عليه الورود والأزاهير .

وفرشتُ صعيده بالأقحوان والفلّ والياسمين .

* * *

قدتُك إليه فأضجعتك على فراشه الوثير .

لتَسْتَرْوحى وتنتشى .

(أصيخى بسمعك إلى هذا الغناء .

إنه مزمار الينبوع الشادى .

إنه عندلةُ الطيور الراقصة .

هنيئا لكِ — أسبلى عينيك ونامى على هذا الحداء .

ثم أغرقى بالأحلام والصور) .

أما أنا فسأجلس إلى جانبك حارسا .
وأهزّ لك السعف لأروّح عنك وأبرّد لك المكان .
(وأبقى أرنو إلى وجهك الجميل وأنت سابتة .
هذا الوجه المرسوم على ضلوعى وجدران فؤادى) .
هذا الوجه الذى سينجينى من عذابى الدنيوى .
والله بعد ذلك كفيل بالباقى .

* * *

ليلى :
وحقّ عزّك ودلالك .
إن إعجابى بكِ لعظيم .
حتى ليجعلنى أن أكون حسّاسا كقلبى الولهان .
وقد صرتُ أتعشّق فى حبّك كل ما هو ظاهر وجميل
لأن خيالَك يرفعنى .
ما بالك — أتطمعين إلى هذا الحدّ .
وتريدين منّى البرهان على حبّى .
وقد أدليت لك بألف برهان و برهان .
وأنى كما عرفتنى غير متهم فى رأى ولا ظنين فى عفّة .
فلتطمئن نفسك إذن .

ولا يَغُمّ عليك الأمر .
وصمّمى وكونى حسنة التصميم .
ثم تقدّمى إلىّ بأقدام توّاقة ثابتة .
وا كشفى لى عن صدرك .
حتى يبقى هذا المعين من قلمى غير ناضب .

* * *

ليـــلى :
تقدّمى إلىّ ولا تخافى الناس والوشاة .
ولا يفزعك ما يحملون من كيد أو حسد .
ولَيْتَهُم تركونا .
لنبتعد عن ضوضائهم .
ونخلو سويًا فنتحدّث بأحاديث الأفئدة .
ونروح نتسامر ببث الضمائر .
وعندئذ أضمّك إلىّ وأقبّل ثغرك البسّام .
أنهل من رحيقه المصفّق ومن جناه المعلّل .
إيه ليلى — (لو يستقر هذا الخاطر فيك .
لـكنتُ من أنعم الخلق وأرضاهم) .

* * *

ليـــــلى :

إلىّ إلىّ فإن مـكانك فى جنّتى .

ومَقامَك إلى جانبى .

كمقامى إلى جانب هذه الدوحة .

وأن سبيلى مستقيم .

فلا تتعقّبى الالتواءات .

لئلا تضيقى .

فتتعب .

هلمّ إلىّ — ردّى الأمن إلى نفسى وقرّبينى إليك

واعلمى أن النوى ليس فى شرع الغرام .

رويدك — إنّى أكاد أذوب فارحمينى .

* * *

الرسالة الثامنة

أحـــلام...

تقلُّص الـكون كله إلى أن
يجتمع فى شخص واحـــد
أو تمدُّدُ الشخص الواحد إلى أن
يسع الـكون كله . هذا
هو الحب .

(هوجو)

عزيزتى ليـــــلى :

ونام الفتى حالمـا .

* * *

سميـرتى :

ما هذا البيض الوفير .

الذى تجمّ واصطف بانتظام .

وارتقى على هذه السلاليم العديدة .

النازلة تحت الأرض .

وكأنها الملجأ البرود فى هذا الصيف الأجج .

الله — ما أبدع نضيده المتحدّر من أعاليها إلى أسفلها .

وقد غطّاها بأكداسه المرصوفة حتى ليبان كمنظوم الجمان .

هذا الدَحروج الأبيض .

من جاء به إلى هذا الموضع .

أثُـكن من حمام .

أم أسرابٌ من طيور .

كلا — أنها بيوض جزلة كبيوض النعام أو أقل .

* * *

جئتُها من كوتها .
فراعنى حفيلها ولم أصطبر .
حينما أشرفت على منظرها الجميل .
بل حبوتُ إليها بطمأنينة وثبات .
وحَدستُها بأقدامى فلم تنكسر .
ومشيتُ عليها منحدرا .
كما ينحدر النازل من على تل .
كنت أسير عليها بحذر ولـكن بجنان جرىء
حتى وصلت القاعدة .
فلم يتكسّر منها شىء .
عجبا — أ كنت أعلم بهذا المصير .
نعم . وكأنى كنت على علم .
وهذا ما كان ولا شىء سواه .

* * *

وتأطّرتُ مليّا .
ثم جزت المـكان إلى غرفة خيالى .
فلويتُ قُفلَها وفتحت الباب .
وخطوت إلى الأمام جذلا .

وإذانى داخلٌ فيها .

لقد كانت غرفة منسّقة وظريفة إلى حدّ بعيد .

ومنيرة بمصباح كهربائى .

شعّ ضياؤه شعَا .

حتى أحال جوّها نهارا ساطعا أو أشدّ .

وأىّ مصباح هو .

هذا المصباح الأخضر .

هذا المصباح كان فى زجاجة .

الزجاجة كأنها كوكب درّى .

يوقد من شجرة مباركة .

زيتونة لا شرقية ولا غربيّة .

يكادُ زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار .

نور على نور .

يهدى الله لنوره من يشاء .

* * *

سميرتى :

آه — ومن هذا الغريب الذى جاء يتبعنى .

ها هو ذا ينفُذ من الكوّة ويحطّ قدميه على أول البيض

وما كان حَبابُه إلاّ أن ينزل .

ولـكن لِمَ لم يفعل .

لا أدرى .

فقد ترددَ وجمدَ على الباب .

ماذا دهاه يا ترى حتى تحرجم .

هل آده الأمرُ فخام عمّا نوى .

أم هل أصيب برعب فانحلّت عزيمته .

إنه أراد أن يَبُـكَّنى فما استطاع .

ورغب فى أن يتحدانى فما قدر .

ولقد شخّصت الرجل فعرفتُه .

و بقى اسمُه ورسمه فى ذهنى .

حتى بعد أن استيقظت .

وأظنّكِ لا تجهلينه .

وتلك هى رؤياى الأولى .

* * *

سميرتى :

وجاءنى موزّع البريد بتذكرة معايدة .

بعثتها إلىّ حبيبتى وفيها تقول : —

منها إلى فلان .

أبارك لك وأتمنّى لعشيق الخير .

وتلك هى رؤياى الثانية .

* * *

سميرتى :

وهذه المرأة الحاظب .

البدينة القصيرة التى يتجاوز عمرها الثلاثين .

ما شأنها .

إنها تتكلّم الإفرنسية بكل طلاقة .

كما تتحذلق بها الراهبات المسنّات .

ولعلها كانت لا تعرف غيرها .

يمّمت الديوان وقصدت رئيس القسم .

وهو أبو سعد بالذات .

فخفّ إليها بالترحاب والتبجيل .

ونهض لمصافحتها باشّا هاشّا .

كما لو كان بينه و بينها ذلك الودّ العريق .

ثم جلس إزاءها يحدّثها .

ومع أنى لم أفهم أ كان يكلّمها بالإفرنسية أم بلسان آخر

إلاّ أنى لم يفتنى أن أعرف بأنها لم تكن تتكلم بلغة سواها .

و بعد أن أفاضت فى الحديث .

كشفت له عن هدية طلبت منه إيصالها إلىّ .

ولم تنتظر .

بل قامت تودّعه .

وقبل أن تنصرف سألها عنّى .

فأجابت بلسانها الفصيح : إنّى أحبّه كما أحبّ السماء .

وهو تعبيرها الحرفى الذى لا لبْس فيه .

وتلك هى رؤياى الثالثة .

* * *

سمـــيرتى :

واستحنّت حبيبتى فجاءت بيتى زائرة .

وتبرّكتْ مكتبتى بأنفاسها .

ثم سارت تحف بها حاشية ألاّفها .

منهن والدتى وزوج أخى .

حتى دخلتْ إلى بهو كبير صفّت فيه القماطر .

والتلامذة عليها يدرسون .

وكأنه قاعة من قاعات رياض الأطفال .

فهاهى ذى السبّورة واللوازم الأخرى .
ولـكن أين هى المعلمة أو المعلم .
كانت تسير الحُظيّا مستبشرة ضاحكة .
ومبتسمة لجميع من تلتقى بهم .
أما أنا فقد كنت أتطلع إليها وقلبى متهلّل
لتلك الابتسامة .
وذاك الرضى .
انظروها وهى بين من يحفّها .
كالوردة النضرة التى زادها النورُ رواءا .
هذه المحبوبة الطاهرة والناضجة الكاملة .
كانت مطمع الأنظار .
فقد راحت تدور معها حيث دارت .
وتسبل حيث وقفت .
هذه المخلوقة السميرة .
كانت مرمى الأحداق .
ومجذب العيون .
وكأنها كانت كل ما فى المكان .
وتلك هى رؤياى الرابعة .

* * *

سميرتى :

وفى ذات مساء فاجأنى فى شارع الرشيد أحد الرفاق .

وهو من ضباط الجيش لم أكن قد شاهدته منذ حين .

حيّانى وقال :

حَبّذا هذا اللقاء .

فلقد رمت إبلاغك بأن مسألتَك قد انتهت .

قلت : أهلا بصاحبى . ما هى وكيف .

قال : اتفق الموفدون مع أهلها .

على أن يكون صِداقها الغرامى كذا من الدنانير .

وقد بيّن مقداره فكان ألفاً .

صداقها الغرامى .

فيالله — ما أرقّ هذه الصيغة .

وما أبلغ هذا التعبير .

وتلك هى رؤياى الخامسة .

* * *

وهنا استيقظ الفتى بعد خمس وهو يفيض بالخواطر الحسان ويقول :

* * *

ليـلى :

أنت والله نقيّة كأشعة النجم حلوة كافترار الندى عبقة كأنفاس الورود .

فى ابتسامتك ابتسام الجود والحنان .

وفى نور عينيك سرّ حياة هذا القلب .

الذى آمن من بعيد بأن لا عيش له بلا حبّ .

وهل كان فى الوجود أسمى من الحبّ .

هذا الفتى كان يدعو ربه فى العشية والضحى .

دعاءه الخالص الخاشع .

يدعو بأن يوقعَه فى غرام لذيذ .

يتعذب فيه ليسمو ثم يهنأ .

ويروح يخوض فى غمراته مسرورا .

هذا الحبّ له كالشمس للزهرة .

وكالنور للريحان .

عقيدة تملّـكها فحمّ الله له على قدر إيمانه .

فشكرا له على عطيّاته ونعمائه .

وحمدا له على رحماته وآلائه .

* * *

ليـــلى :

إن نفسى متعلّقة بك ولا سبيل لها حتى تصل إليك .

فإذا جئْتِ طارت إلى قربك فرحة .

لتُظهِرك على ما يحمله نحوك فؤادها من هيام خفىّ مكظوم أدماه .

وما اشتمل عليه صدرها من ولع رفراف .

آذاه .

وهو بالرغم من هذا وذاك نشوان طرب .

ولاه لَعوب .

هذا المدمّى كيف ينتهى به الحال ليكون لعوبا .

وهذا المعنّى كيف يتغافل ليكون طروبا .

ويلاه — ما أعجب متناقضاته .

ولـكن ما الغرابة فى ذلك وهو على آسال من صاحبته .

أنا المتيّم الأسوف .

وروِيدكِ — ما عزاؤه فى هذه المتناقضات .

* * *

ليـــلى :

وا فرحتاه — متى يكون لقاؤنا .

حبيبتى مُرى بما تشائين .

أنت حَبابى وروحى .

فاعملى لتزيلى عن فؤادى قلقه .

زيليه على أن لا يعود .

وعلى أن لا يعود إلى الأبد .

تعالى إلىّ فلقد صرت أحيا فيك .

كما يحيا الجسم بالروح .

تعالى وانشرى هناءك علىّ .

فى أيام غرامنا البهيجة .

هذه الأيام الطيّبة اللذيذة .

ودعينى أقبّل مبسمك الحلو .

أقبّله بحرارة تذيبنى وإيّاك .

حتى أستشفّ وأستشفّ .

وإلى أن لا يبقى من مادتى إلاّ ذراتها الهباء

ولأكن كالنسيم اللطيف وكالأثير الرقيق .

تعالى نطيل عهد حبّنا .

الذى سيكنفنُا منه جناح فى ألذ أيام عمرنا .

يظللنا قلبه العاطف الرؤوم فيما بعدها .

وذاك الله الذى وعدنا فصدق وعده .

فلنُؤمن به وندعوه .

وهل خاب من دعاه وتوكل عليه .

* * *

الرسالة التاسعة

(تهيم إلى ليـــلى فلا الشمل جامع
ولا الحبل موصـــول ولا القلب قاصر
ولا قرب ليـــلى إن دنت لك نافع
ولا نأيها يُسلى ولا أنت صـــابر)

عزيزتى ليلى :

وجاءك الفتى هامساً

* * *

ليلاى !

أما أنك لى فهذا ما أتوقعه .

وأما أنك تبادليننى الحبّ فهذا ما أرتاب فيه .

ولأخبرك بما كان .

لتكونى على بصيرة من الأمر .

رجوتُ من ربى أن يوقعنى فى حبّ عنيف متبادل أسمو به

وما غرضى من هذا السموّ إلا أن ألقى ربِّى رضيّا .

ولعلمي بأن الدار التى نعيش فيها هى دار بلوى .

يُختبر فيها كلٌّ بمقداره .

فمن كان كبيرا كان ابتلاؤه كبيرا .

والعكس بالعكس .

ولقد دلّنى وحيي منذ سنوات .

بأن الابتلاء بالحبّ أثمن أنواع الابتلاء .

ولا يؤدى بصاحبه إلا إلى أهنأ النتائج .

وما دمت على إيمان وثيق بربى .

فلِمَ لا أطلب منه هذا الاختبار الجليل .

وقد كان .

فوهبنى هذا الحب أولاً .

وهاهو ذا حبِّى العنيف بين جوانحى .

أتذوّق حلاوته لأول مرة فى حياتى .

بعد ذاك الرجاء البعيد .

ولما كان الله لا يهب إلا كاملا .

لكرمه وسعة رحمته .

وإذن فلابد وأنه قد أعطانى من يبادلنى إياه .

وهذا ما لاشك فيه .

لأنك ستبادلينى الحب حتما إن لم تكونى قد فعلتِ .

ولستِ أنتِ سوى تلك الحبيبة الموعودة .

* * *

ليلى :

وأما أنك تعذبيننى فهو ما رجوته من ربى ، وما نشدته منك .

وعذابى لذيذ لو كنت .

قد أبحت لعشيقك مكنونات صدرك ، وبتثنيه حبك .

ولكنه ما كان كذلك فكان عذابا أليما .

يكاد يكون انتحاراً .

وأى انتحار هو إذا تمّ فى سنوات .

فكيف الخلاص إذن ؟ .

هل لى أن أتراجع فأتوسل إليك فى أن تعذبينى .

مهلا — إن هذه عزّتى وأنفتى .

وهذا اعتمادى عليك وثقتى بك .

ثقتي بدرايتك ورزانتك .

و بحنكتك وتبصرك .

كل ذلك يقف حائلا بينى و بين ما أشتهى .

و إذن فأجملى بتصرّفك .

لأن العذاب حَلّ قاسياً بالنسبة إلىّ و بالنسبة إلى ما أنا فيه

وليس لى فى التراجع من سبيل .

لأن ذلك ليس من عادة الرجال وشيمهم .

* * *

ليلى :

أوّاه — من اجتماعنا الخامس .

لقد جرّنى إليك جراً عنيفاً .

وقادني إليك متهالكا .

ومتن من حبي فطغى علىّ
وكان من أحاديثه ما كان .
مما حزّ فى نفسى و بعث فيها الألم الممضّ .
الذى أحرقنى وأذاب شحمتى .
ولعلك قائلة : — هذا هو الألم الذى رغبتَ فيه .
ولكن تريّثى فقد طال العهد وما طلبنا ذلك إلا لأمد .
ومع هذا فأنا عليم بأن الألم مدرسة تهذبنى وتربينى .
والألم عبرة لأصحاب القلوب الحساسة .
وغذاء للنفوس المؤمنة .
وهو معلم الأفذاذ من الناس .
وأنا أريد أن أسمو به ما دمت مؤمناً بأنى سألقى ربى يوماً ما .
غير أنه إذا اشتدّ وانهال أنزل المتسامى إلى هاوية من اليأس عميقة

* * *

ليلى :
أروح أصلّى وأدعو لربّى أن يخفف عنى .
وقد كنتُ قد طلبت هذا العذاب ولمّا أذقه بعد .
فلما ذقته كدت أجزع .
ولكن الجزوع فى النار .

وإذن فليس أمامى إلاّ أن أصبر .

والصبور فى الجنّة .

ولقد ارتبتُ فى نفسى فناجيتها . ويلك أتخورين .

ما بالك لا تحتملين هذا العذاب .

وتوشكين أن تكونى غير أهل للتجربة .

أجابت — أنّى سأحتمل .

وسأحتمل حتى يحكم الله بما يشاء .

وسوف أنشد العون منه حتى ألقاه .

* * *

ليلى :

عشقت فيه الرزانة والصفاء .

وعشقت فيه الطهر والعفاف .

وعشقت فيه الكمال والجمال .

وعشقت فيه الحكمة والدراية .

وعشقت فيك التبصّر والعقل السليم .

وإذن فلِمَ تجعلنى للوشاة مجالا بيننا .

وهذا دستهم .

ودستهم غريب .

وما عليك إلاّ أن تفرّقى بما وهبت من ذكاء وفطنة .

بين الغثّ والسمين و بين الفحم والماس و بين الجوهر والعوض .

لقد درستك من بعيد بنفسى ولم أبح بشىء مما بيننا أبداً لإنسان .

وعرفتُ من نفسيّتك الشىء الكثير .

فلِمَ لا تدرسينى بنفسك أيضاً .

لتقعى على مدار الحقيقة ومنبع الإخلاص .

واعلمى بأن لى عزّة كعزّة الجبال .

وأنفة كأنفة الجبابرة .

لا يخضعنى بهما إلاّ الله خالقى .

ولا يقودنى بوجودهما إلاّ الحق سائقى .

و إذن فأدركى كيف أحبّك .

وقد أحببتك فعلا .

وما أصفى وأنقى حبّى لك .

* * *

ليلى :

إن هذه البشريّة الضالة التى حولنا .

هى غيرى فى كل شىء .

فهى منافقة وأنا أكره النفاق .

وهى حاسدة وأنا أفرّ من الحسد .

وهى ظالمة وأنا أروم العدل .

وهى دنيئة وأنا أعشق السمو .

وهى حقيرة وأنا أطلب الطموح .

وهى قوّالة وأنا أحبّ العمل .

وهى خائنة وأنا معجون بالأمانة .

وهى ناكرة جاحدة وقد أسلمت وآمنت .

وكل شىء أمامك فاحكمى حكمك المنصف

ولا تتعسّفى على البرىء .

فتأثمى .

وتندمى .

حين لا ينفع الندم .

والله يترصّدك .

ليرى كيف تنصفين .

* * *

ليلى :

أنت حرّة فى الاختيار .

وقد قلته لك شفاهة .

فتبصّرى فيه .

إذ أخشى أن تستعينى بمن لا قدرة له على الفحص .

و بمَن لا أمانة له على العمل .

فتخطئين .

ولذا أحذّرك وأنصح لك فى التروّى .

لتأمنى العثار .

ولتكون النتيجة صائبة والحلّ صحيح .

و إذا شئت فإنّى على استعداد للمساعدة والإرشاد .

و إن شئت ابتعدت عنك .

حتى تنجزى بحرّية كلما تريدين من تجارب .

أبتعدُ عنك على مضض صابرا .

فان انتهيتِ سعيتُ إليك مهرولا .

لأكون كما تريدين .

* * *

ليـــلى :

إنّى أرغبُ فى أن أسْعِدك فلماذا لا تريدين .

و إنى أريد أن أسعد بك فلماذا تمانعين .

وتأكّدى بأن حبّى جليل لا تهزأ به هذه الأعاصير الثائرة .

والعواصف الدائرة .

فثورانها قصير .

ودورانها حقير .

وهو حبّ عميق لا تهدّه دسائس الشياطين .

لتفرّق بينى و بين حبيبتى فى جنّتى .

كما فرقت آنئذ بين آدم وحوّاء .

وذلك ديدنها .

وما ديدن اللئيم إلاّ العبث والتضليل .

عجبا — أيفوتك ما نحن فيه .

وهو تفسير الجزء الأخير من رؤياى الأولى .

رؤياى الصادقة التى لا تحيد .

أما أنا فسأبقى حريصا على العهد .

فى اليسر والعسر .

و يقينى بأنى سوف لا أخيب .

ومن استرشد بالله ماخاب .

وسأظل أردّد :

(تجلّد أيها القلب فما بارحك الحبّ)

(ومهما عزّ ما يصبى سأبقى أبدا أصبو)

ليلى :

أنا أمين فى سلوكى وأقوالى .

فاحذرى من أن تعرفى ذلك عنّى بعد فوات الأوان .

واعلمى بأنى مثقّل بأحمال من الحبّ الفيّاض .

وأريد منك العون والمشاركة .

فهيّا قبل أن تفصم تلك الأحمال كواهلى .

وتعيا عن حملها زنودى .

وتخور تحت أعبائها أعصابى .

بالله عليك — ألم تعرفى أن هذا الكلام يخرج من قلبى .

بلى — فأسرعى إذن وفكّرى عاجلا .

* * *

ليلى :

أصحيح أنك خلّية من حبّى .

لم يكن سلوكك ليدلّ على ذلك .

إذ لدىّ عشرات البراهين مما ينفى عن ذهنى هذا الخيال المرعب

و إذا كان فلِمَ لم تردعينى بصراحة ونحن فى أول المرحلة .

وتكفّينى عن أن أروح مغمورا .

بعذابى هذا وشقائى الآتى .

وهلا كان سلوكُكِ تجاهى .

الذى بعث فىّ الأمل أكثر الأحايين .

وأنعش قلبى وربّى وليدى .

أقول هلاّ كان ذلك منك جناية .

يحاسبك عليها ربّى فى أيامك القادمة .

وقد يكون حسابُه عسيراً .

لأنك أضللت من كان يريد الهداية بك

ولأنك أشقَيْتِ من كان يرغب فى السعادة فيك .

هذا الرجل ستريك الأيام مقدار فضله وتهذيبه .

أمّا هو اليوم .

فقد راح يرجو من الله تعالى أن يصفح عنك ويغفرُ لك .

حتى يهديك ويرضى عنك .

ويدخلك فى رحمته ورضوانه .

(عدينى بوصل وافعلى بنجازه فعندى إذا صحّ الهوى حَسُن المطل)

الرسالة العاشرة

(أليس وعدتنى يا قلب أنّى

إذا ما تبت عن ليـلى نتوب)

(فها أنا تائب عن حبّ ليـلى

فما لك كلما ذكرت تذوب)

عزيزتى ليـلى :

و بعد سكوت قصير خاله الفتى دهرا ، تفوّه فقال :

* * *

دوحتى :

يا من عرفتك سيّدة هذه المروج المنبسطة .

أنت امالى المزدانة بأزاهير الأحلام .

تعهّدتُك فى الغدوّ والآصال .

ورويتُك بدَمى ودموعى .

ووهبتُك أمسى ويومى وغدى .

وتطلّعتُ إليكِ لأراك نامية جبّارة .

وتريّثتُ لتكونى فى ربيع باسم لا يشيب .

و إذا أنت دوحتى المعمّرة الخالدة .

ورغبتُ فى أن تصبحى ميّاسة تتهادين مع النسيم المُنعش .

الهامس فى آذانك أناشيد اليقظة .

وغايتى القُصوى .

هى طمعى فى أن آكل من حلو ثمرك الناضج .

غير أنك اليوم تبخلين .

وتصدّين ولا تتكرّمين .

وكان جزائى منكِ جزاء سنمّار .

وما كان عهدى بك .

سوى الجود المرغ .

* * *

دوحتى :

لا أعرف الذى غرسك فى جنّتى .

ولـكننك غُرست وتأصّلتِ .

فإذا كانت الأقدار التى بذرتك وأحيتْك .

(فعبثا تحاول العاصفة أن تقلعك لترميك بعيدا .

وعبثا تحاول الريح أن تجففّ بأفواهها أوراقك الخضر المليئة لتبدّدها وتنثرها .)

وعبثا تحاول الأرض .

أن تبتلع منكِ غصونَك الريّانة لتهشّمها وتحطّمها .

وكيف تستطيع .

وأنا أقف عند منبتك بخشوع وخضوع .

رافعاً كفّى إلى ربّى متوسلا .

ليبارك فيك .

ويُمْطر عليك ندى الحياة وأكسير الخلود .

* * *

دوحتى :

لقد وجدتك دوماً تشوى بالحياة .

زاهية بالرشاقة والدلال .

ولقد راقبتُ نُموّك صيف شتاء .

وتفيّأت بظلك الممدود .

وأخذت أضرب على قيثارة قلبى كلما رأيتُك تهتزين .

وكلما سمعت ترانيم البلابل والحمام من على أفنانك اللدن .

وأدّى بى المطاف .

إلى أن أضرب على أوتارها بجرأة وحرارة .

وكأنك علمتنى ودرّبتنى ، فكنت خيرَ معلّم ومدرّب .

وهِمْتُ بك .

حتى بقيت أفكر فيك صباح مساء .

وخلتُ أنى أدبّ على الأرض لأجلك .

ومن أجلك أحببت الحياة .

ومكثت أنتظر الغد .

لتفيضي علىّ أينع الثمار .

تلك الثمار الشهية التى طمعت فيها .

فيا دوحتى المعبودة وقِبْلتى المنشودة .

هلّا أمتّ الخيبة فى نفسى .

و بعثتِ الأمانىَ والآمال .

أنتِ يامن رأيْتُك وراء سحب الأحلام زاهرة باسمة .

سلام عليك إلى الأبد .

* * *

دوحتى :

هذه فيثارتى فاسمعيها منشدة مع نغماتها رخيم صوتى :

(عبدتُها . . . روحاً إذا رفرفت طهّرتُ فى أنوارها سجدتى)

(لابهجة الدنيا ولا صفوها يشغل عن تقديسها فكرتى)

(فى كل لمح من سناها هوىً وفتنةٌ جُنّت بها فتنتى)

(عبدتُها ... مابال من أرخصت روحي لها تمعن فى جفوتى)

* * *

دوحتى :

عند ما تعاليتِ .

جعلتِنى كأحياء الملأ الأعلى .

جميلا فى يقظتى ونومى .

طاهراً فى حركتى وسكونى .

بليغاً فى نطقى وصمتى .

أنا ابنُك البارّ الذى لَاذَ بكِ .

فاغمرى نفسى ببهجة الشروق .

واجعلينى كأحد أكمامك المتفتِّحة .

التى لا يذويها الغروب
احتضنينى لئلا تهدأ منى ثائرة النشوة
عند ما يمسى المساء
وتقرّ الأحياء فى أوكارها
وإذ علمتِ بأنى لا أقدر على مفارقتك
فضمّينى إليك
واحفظينى بين أغصانك
حتى آوى إلى خدرى فرحا وأنزع عنى نصب السعى و برحاء الألم

* * *

دوحتى :
تكاد تكتنفنى الأرزاء من كل حدب وصوب .
فدعينى أهرب إليك
دعينى أهرع إلى ظلالك يا دوحتى الفينانة .
علّى أجد عندك الغراء والطمأنينة .
فلقد أخطأت فى حسابى .
(وما علمتُ أن الألم الذى شربته جرعات .
ويمتصّه قلبى رشحات .
يبلغ بى هذا المبلغ) .

ويأخذ بى إلى هذه الغاية .

ألا تذكرين .

يوم كنتُ ضالا سبيلى فى صحرائى الجرد .

ويوم اندلعتْ حولى ألسنة القيظ .

فرحت أتطلّع إلى الآفاق باحثاً عن ملجأ ظليل ترتاح فى كنفه روحى .

حتى لقيت فيك ضالتي المنشودة .

وكأنك قد نسيت ما أصابنى .

لما خبّ بى المطىّ بين الصخور الوعرة ، والأشواك الحادّة .

وأحسستُ بالظمأ النفسانى المؤلم .

حتى كاد يقتلنى ويرمينى على الأحجار يبوساً .

لولاك .

ولولا منهلك العذب الذى تدفّقَ من حولى .

هذا الينبوع الطهور الذى يجود بسلسبيله الحلو .

فيُحيي الموات وينعش الزرع .

وإذن فضمينى إليك .

واعملى بى ما تشائين .

* * *

دوحتى :

أنت قِبلتى المقدسة التى أيمم بوجهى شطرها .

لأعبد ربى الرحيم .

كما يعبده أخلص العابدين .

اتخذتك سميرة لروحى مذ رأيتك .

مزينة بهذا التاج المنير .

تاج العظمة والبهاء .

فانشرى إذن على رأسى من أزهارك المباركة

وأطعمينى من ثمارك اللذيذة .

ثم ضمينى إليك .

وأعملى فى ما تشائين .

* * *

دوحتى :

أتعرفين زهرتى التى أعشقها :

هى زهرة فوّاحة العبير شذّية الأنفاس .

ولطالما حَلقْتُ فى الفضاء سابحا حولها .

فى يم لُجّى من اللذة المسكرة .

ثم أنصرف عنها .

وقلبى معطر ذائب ضائع فيها .

وذلك أريحها يكاد ينسينى ما ألاقيه .
فى هيامى بها من عذاب .
أنا ألتقيم الوقوع .
منها أستمد الوحى .
ومنها أتعلم كثيراً من معانى الوجود .
وحكمتى أين هى . ؟
ماذا تظنين .
لقد طغت عليها عاطفتى .
وضاعت بحبها .
ويا ليتها شعرت بما أنا فيه .
وأشركتنى فى خاطرى .
وحتى عرّفيها .

* * *

نوحتى :

أنا لا أريد إلا أن تبقى زهرتى يافعة .
نضرة حتى أحوم حولها وأتعطر بأنفاسها
كما لا أريد إلا أن يبقى نور قلبى .
لأحترق متطهراً فى لهيبه .
حتى أفنى ضائعا فى حبها .

وأنقلب بخورا يتصاعد أمامها .
وياليتها تشعر بما أطمح إليه .
وتتعرف إلى حياة السجين فى فترته
علّها تطمع بوجودى ولو قليلا .
وتبالى بتهافتى ولو يسيرا .
ولكن أتدرى .
لا أدرى .
دوحتى عرّفيها .

* * *

دوحتى :
لقد أخلصت لحبيبتى الحب .
كأعظم ما يفعله إنسان هيوم .
وعلقتها بحب جم .
كأشد ما يصيب الفؤاد من لاعج .
ولقد شدوت لها فأبت .
أن تصغى لشدوى .
ثم ثارت غاضبة .
وتبرمت لغير ما سبب
وتوعدت بالرحيل والهجران .

وقالت وهى تتمنى السفر — علِّى أرفه عن حيرتى .

قلت : ولم هذه الحيرة ؟ .

أجابت : إنها بلوى خاصة لا أقدر على الإفصاح عنها بالله عليك .

خبرينى بما تطوين .

فلربما أعنت وسترين كيف أعين .

غير أنها ما زادت حتى تكتمت .

فأقطعت عنها أنشادى :

* * *

ولكن أتعرفين لم عدت باثاً .

عدت لأنى أدركت بأنه هو سبيلى الوحيد .

الذى أستطيع من ورائه أن أنعش حبى فى قلبى.

هذا الحب الجليل لا أريد أن يشجيه همى واكتئابى :

ولا أريد أن تقضى عليه آهاتى :

تلك الآهات الحرَّى .

التى توهَّج من حين إلى حين .

* * *

ولقد أبلغوا بأن الحب إن مات .

انقلب إلى كره .

وكلما كان ذاك قوياً كان الكره شديدا .

وهو خيال يفزعنى .

إذ كيف أرضى بأن أحمل لها فى صدرى غير الحب العظيم .

الذى لا أريده إلا حياً

يحيا بحياتى ويدوم حياً بعد مماتى .

وإذن لا بد لى أن أعيذه .

من كل هذه الرساوس المخيفة .

لئلا أجنى عليه .

وأنا الذى حافظت عليه وعلى سلامته .

بروحى وبقلبى .

وهما أثمن ما لدى .

وعلى هذا فلا عتب على إن رجعت لأكتب كعهدى الأول

وسأبقى وفياً لحبيبتى .

عاشقاً لها فى السر والعلانية .

فى الربيع والشتاء .

فى الراحة والعذاب .

فى السعادة والشقاء .

فهيا وأخبريها يا دوحتى .

ولقنيها لتدرك .

مقدار حرصى على أن يظل الحب زاهياً زاهرا .

فى نفس هذا الصب المخلص المتفانى .

وأسمعيها ما يقول :

سلسلى لحنك الجريح وهاتى
رجع قيثارتى ونجوى صلاتى
طال شدوى حيال حبك شوقا
فاهتكى الستر وارحمي خفقاتى
وانظرى جذوة الهوى فى خيالى
وشحوب الفناء فى نظراتى
وبريقاً من الشباب المولى
كهشيم الريحان فوق الرفات
وخيوط المنى على صفحة القلب
كأطياف غيمة فى فلاة
منية أزهقت وأخري تعايا
والبقايا فى الصدر منتحرات

ليلى :

أسرعى قبلما تغيب الأمانى فى دخان الهموم والحسرات
وتصيرين فى الهوى قصة الغد ر وأسطورة على نغماتى

الرسالة الحادية عشرة

ومع هذا لم ينقطع أمله ، بل سارع إلى إعلان هذه الوهجات العاطفية علّه يسمع صـدى لإعلانه وترديدا لآهاته ، ولـكنه قَفِل خائبا ، وعاد مكلوما . . .

عزيزتى ليلى :

وتوالت نفثات الفتى .

* * *

دوحتى :

أشكو لك غربتى .

وأبكيكِ حَيْرَتى .

وأخصُّك بنجواى .

علّك ترعين ذمامى ووُدّى . . وتراعين عهدى وحبِّى

حُبّى لأليفتى .

التى لاتشفق ولا تعطف .

ولا ترحم ولا ترأف .

ولا تجود ولا تمن .

أين هى يا دوحتى .

لقد طلبتُها أن تأتينى فما لبّت .

ودعوتُها إليك فما يمّمت .

فإلى متى تتركنى أتمرَّغ فى ديجور وحدتى .

إلى متى ؟.

* * *

علميني أيتها الدوحة كيف أطير .
لأتعالى فى الجوّ وأروح إليها .
فأهْمِس فى آذانها بحديثى
وأمسك بيدى على مشعلك المقدَّس .
وأقرّبه إلى صدرها الناعم .
وأشعل بلهيبه المتّقد أغوار قلبها .
ثم ألمس بكفّى جبينها البارد .
وأتبرّك بِسَنا طلعته الوهّاج
ولـكن أنّى لى ذلك وكيف ؟
وهى بعيدة عنّى .
وليس فى مقدورى أن أسمعها على هذا البعد
هَمْسِيَ الضعيف الـكليل .
وأريها بعد هذه الفترة
حِمْلِيَ الباهظ الثقيل .

* * *

دوحتى :
هاهى ذا جنّتى تتألّق بأردية النور .
وتتلألأ مروجها المزدهرة .

بالشقائق والخزامى والاقحوان .
وتلك المياه فى القنوات قد سَجَت .
مصيخة إلى أهازيج كل طائر غرّيد .
وفاح شذا الأكمام وتضوّع أريج الحور فى الأرجاء
وهاهو اليمام يطير من وكناته .
مرفرفا على الحقول البعيدة .
ومُسْمعاً إياها هديله وترتيله .
فأين هى أليفتى .
كيما أقبّلها وأعانقها .
فى هذا المرح العام .
وعلى هذه الأرض المشتعلة أزهارا وأشجارا .
وعند سفوح هذه الجبال السائلة جداول وأنهارا .
أين هى يادوحتى .
لكيما تنشلنى من وهدة الرّق .
وتنقذنى من ديجور الهلاك .
وتغمرنى بأنوارها وأضوائها السرمدية .
فتكشف بذات نورها .
عما يعتلج فى نفسى من عواطف جائشة لاتخبو .

وما يضطرم بين جوانحى من موج لايسكن .
وهو يصطخب بدفاعه الرائع فى هديره .
هنالك ستدرك بأن هذه النار المتأججة .
هى التي تبعث الحياة فى هذا القلب الكسير
فتدفعه للتشبث بأقدام الحياة .
وتسيّره ليروح إليها لا لغيرها .
هى نار غير هامدة ثائرة كسيب يندفع ويسيل
تعالى ياحبيبتى وضعى .
إذا كنتِ تطيقين صبراً على حرّها .
ضعي صدرك على أتونها الأحمر .
وتلمّسيها لتعرفى منبعها ومجراها .
ولكنى أخَالُك غير قادمة .
وكأنك تخشين تجربتى القاسية .
فيالله — أين خلاصى يادوحتى .
عجباً — أتدعنى وحدى ولا يداخلها بى حنان
وهى مصدر الرحمة والحنان .

* * *

دوحتى :

هاهى ذى حبيبتى فناديها إلىّ .

هيّا وصفّقى لها بأوراقك .

وهلّلى لها بأغصانك .

لتسمع وتلتفت .

فلا تتوانى عن أن نأمّ الهيكل .

ناديها إلىّ لنروح معاً إليه ونسبّح فيه بحمد الله .

ونتلو صلاتنا .

ناديها إلىّ لنروح معاً إليه ونفرغ قلبينا إلى الديان

فى هذا الشروق البهىّ .

خبّريها بأن معبدنا المقدّس القائم بجانبك .

على الربوة .

يدعونا إلى العبادة والتسبيح .

هو معبد روحىٌّ تحف به الخمائل الكثيفة .

وتَحُشّ حوله العنادل والحمام .

سيجمعنا إليه .

ويضمنا فى صدره .

هناك سننتبذ مكانا نسكن فيه إلى نفسينا .

وفى لذة الخلوة سنسمع ألحان الملائكة .

ونتجاذب ونغرق فى حبّنا وننسى العالم وما فيه .
ثم نخر أمامك يادوحتى ساجدين .
(بعدَ أن نتطهَّر فى أعمدة النور ونرتدى .
فيك من أفاويق الهوى) .
يا دوحتى الكريمة . . يا أم المحبة وربَّة الغرام .

* * *

دوحتى :
عجّليها لتسرع فى خطاها وتأتى ساعية .
فلقد سبقتها بروحى إلى الهيكل .
وبحثت عنها كثيرا .
فلم أجدها .
وفتشت عنها طويلا .
فلم أعثر عليها .
هذه الحبيبة الخلابة البهيَّة فى طلعتها الرائعة فى يقظتها .
إدفعيها الىّ لاشترك واياها فى ذرف الدموع .
ونتحاذى على الأرض باركين .
ونتقبل من سمائنا سلامها وأنسها واطمئنانها وسكونها .
و بعدها .

نقوم فنرمى بنفسينا فى هذا اللهيب الأزرق

وننصهر .

ثم نندمج فيه ونخرج ذاتا واحدة .

* * *

حثّيها على السعى يادوحتى .

فلقد عم النور جنتى .

ونشر لواءه حتى فى بطون الوديان .

ادفعيها إلى لنسبق الزهاد إلى عرش الرب .

وندنو منه مبتهلين .

متوسلين ليأخذ بأيدينا إلى خلوده .

و يبارك علينا من آلائه .

ذاك هو الله لا اله إلا هو .

صدق وعده ونصر عبده ووفى لنا .

ما رجونا .

وعند ذاك سنأتيك يادوحتى .

طربين .

وننثر عليك من أوراق الورود .

ما نجلّلك به — أيتها الشفيعة الأنيسة .

دوحتى : —

أسرعى و بددى هذا الضباب الكثيف .

حتى ترانى وأراها .

وأبعدى عنا هذه الغيمة المتلبدة .

لتمتلىء نفسى بنورها .

أسرعى .

فلقد عىّ رأسى وقلبى بالاحداث الكاربة

وتخمت الجروح ، بالخطوب المتلاحقة .

وهاجمنى اليأس المخيف هازئا .

وقارب الأمل أن يفر منى ساخطاً .

أما قيثارتى فقد جفت أوتارها .

وأصبحت لا تبعث إلا الأنغام الشجية .

والأغاني الكئيبة .

وليس لى من مواس إلاّك .

وليس لى من ملاذ إلا بك و بالله .

* * *

أسرعى .

وأسفرى عن وجه السماء .

ودليني على البدر والنجوم .
أسفرى لها عن السبيل .
حتى تستطيع أن تراها واضحة .
وتهتدى بالقمر إلى مقرى .
ولا أكتمك يادوحتى .
أنها حبيبة تخشى الأشباح .
وتخاف السبل الوعرة .
ولا تقوى على أن تدوس على الأشواك حينا .
أو تقفز على الحصى والصخر مليّا .
ولا تجرؤ على رؤية الحشرات والزاحفات تتلوّى
فان لم تأخذى بيديها .
لا أظنّها قادمة .

* * *

دوحتى : —
أمنيها وقولى لها .
غداً ستهدأ ثائرة العاصفة .
ويصفر الجوّ ويعود ربيعُ الهوى .
وفى هذا الربيع .

سيحوّل النوم الوديع مرارة الأحزان إلى حلاوة الأحلام .

وسيقر القلب الخافق سريعاً من أثر الانفعال .

وستجف الدموع المنحدرة على الخدين .

وعما قليل .

ستتبدد ظلمات الكآبة والأسى .

وستطير سوادة هذا الليل الهائع .

(ويخلو جمالُ الكون عن سناء قاطع .

وسيفرغ العلقم من هذا الكأس .

فتزول عنه تلك المرارةُ القاسية) .

وتظهر لنا فى قعره .

حلاوة شهيّة تُنسينا طعم المرّ .

وستبقى الحلاوة إلى أمد مديد .

وعندئذ .

سيزول يادوحتى .

شبح الماضى ويُنسى .

ثم تختفى آثاره عن العيون وكأنه لم يكن .

* * *

دوحتى : —

أنا لا أيأس من الحياة ولو ناء صدرى تحت أعباء الهموم

ففيك يادوحتى كل الأمل الباسم .

الذى سينتشلنى من حيرتى .

و ينقذنى من ضلالتى .

هذا الأمل .

هو حرارة القلوب الوجيعة . و بلسم الأفئدة الدامية .

التى أرهقتها الأشجان وفتتها الأحزان .

فأكثرت من أناتها وآهاتها .

ولكن متى يادوحتى .

متى يواسينى الدهر و يكفكف من دموعى .

و يعيننى على صروفه وأحماله .

ومالى وللدهر .

فأنتِ أنت لا غيرك .

نصيرى وعونى .

إن عشتِ أعيشُ .

و إن هلكتِ جئتك ثاويا .

لأموت فى مثواك وأقبر إلى جنبك .

ولأرقد معك إلى الأبد .

نرقد معا كما عشنا معا .

ولنا من رحمة الله ما كان لنا منها .

فى السالفة .

وإذن فضمّينى اليك .

لأرتوى .

* * *

ليـــلى : —

فتعالى نغيب عن ضجة الدنـ ... يا ونمضى عن الوجود ونرحل

وإلى عشنا الجميـــل ففيه ... هزج للهوى وظل وسلسل

وعصافير للمنى تتغنى ... بالترانيم بين عشب وجدول

وغرام مقدس كاد يضوى ... نوره العذب فى سمانا ويشعل

عاد للعش كل طير ولم يبـ ... ـق سوى طائر شريد مهجول

هو قلبى الذى تناسيت بلوا ... ه فأضحى على الجراح يولول

اقبلى قبل أن تميل به الريـ ... ـح ويهوى به الفناء المعجّل

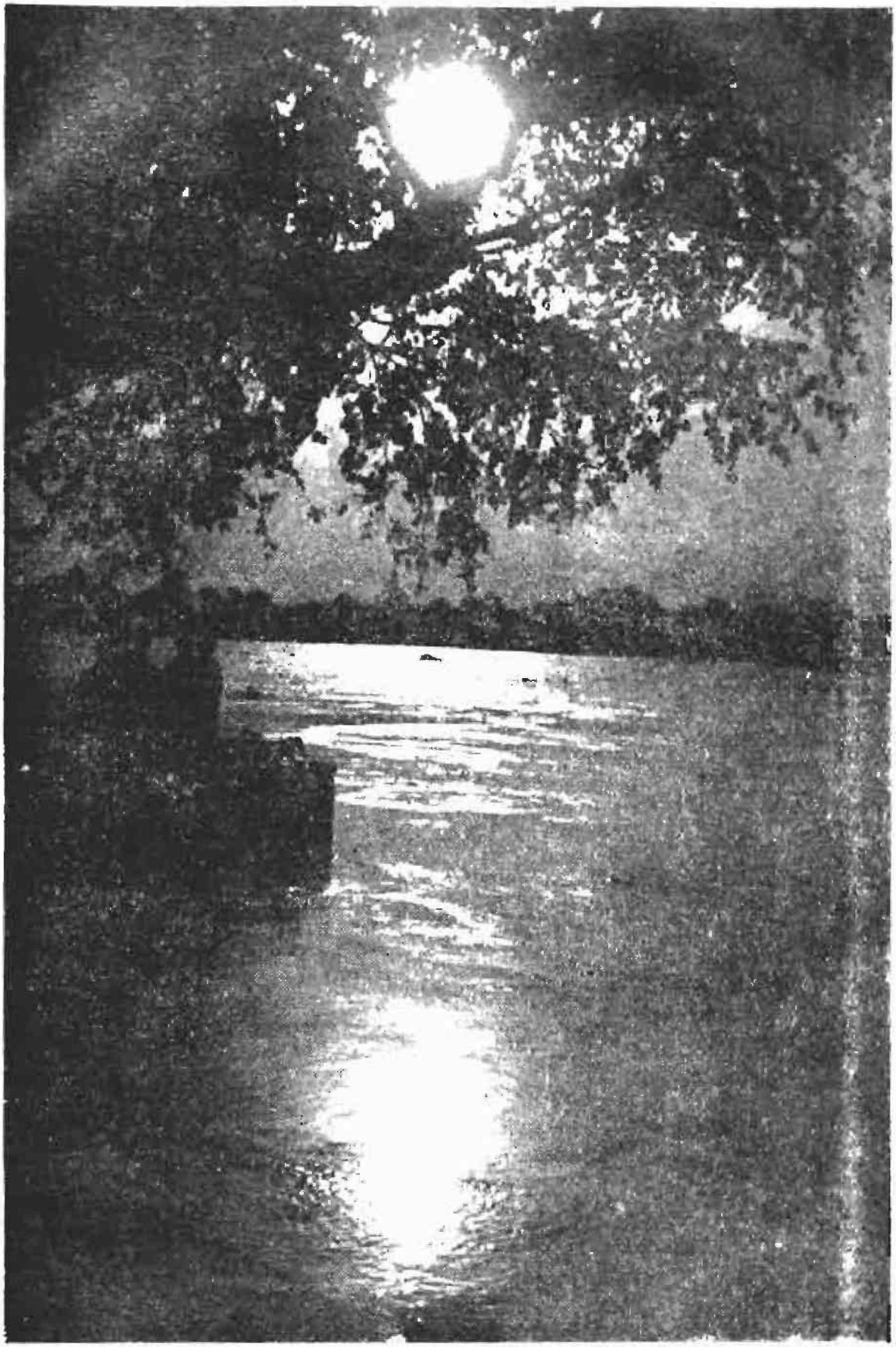

(أقول . . .)

وشاء القدر أن يتنهد الفتى تنهيدة عميقة ويختم بعدها قصته :

* * *

ليلى :

أهكذا تريدين أن تفجعيني بحبي .

بعد مرور خمسين عاماً على ذاك البزوغ .

أبمثل هذه الخاتمة تُريدين أن تنتهي صفحتنا .

وبهذا الفصل الحزين ترغبين أن تسدلي الستار .

على رواية ذلك الشاب البائس .

مالكِ كيف تحكمين .

ألعلّك خُلقت من حجر .

وقُدّ قلبُك من صخر .

وشيد صدرُك من صَلد .

أو لربما صُبّ هيكلك من جلمود .

مالكِ — ما تقولين .

لقد كان أملي أن أعيش في ظل عطفك ورحمتك .

وحنانك وشفقتك .

فما بالك تنتزعينها من وجودك .

وتطغين بغرورك .

وتميسين بخيلائك .

وتلوذين بجبروتك .

كنتُ أريد أن أهرب بك من الشقاء .

وإذا بك أنت تخلقين لى الشقاء .

وتدلّينه علىّ .

ليتبعنى مقتفياً أثرى كظلّى المرسوم .

ولئلا يتركنى حتى ينزلنى إلى القبر .

فيالهـا من خاتمة مؤلمة مريرة .

ويالها من حسرة لا انقضاء لها حتى الموت .

* * *

وآهاً لك يا قلبى الفجيع .

ما هذه الطعنة التى أصابتَك من وراء الغيب

حتى انهالت عليك المدية بحدّها الرفيع .

ففرت منك اللحم وقطّعت منك العَصَب .

هى طعنة نجلاء قاتلة .

سدّدتها إليكَ أكرُم الحور عليك .

تلك التى أردتَ لها أن تعيش فى دنياها هانئة

وتحيا مغتبطة .

وتتمتع سعيدة .

وكأنها أرادت بعد عذابك المبين .

أن تكشف غطاءك .

وتمطّ جدرانك .

وتنقّب خباياك لترى مافيك وتعثر على ماتستر

وهل كنت تخفى غير حبّك الصافى .

ذلك الحبّ الذى خلقتْه بنفسها .

وأنشأته من ذاتى بذاتها .

وأودعتْه بيدها .

فجاورك آمناً .

وترعرع فى أحضانك فرحاً .

وتربّى على زادك غانماً .

وتعلّم من شدوك وإنشادك .

حتى ألِفَ جوّك .

ولَعِبَ فى رحابك ومرابعك .

* * *

أوّاه — أيها القلب الفجيع :

و بعده و بعد خمسين عاماً طويلة .
قضيتَها فى الهمّ والتعسّف .
جاءتك متلصّصة .
وما اتّقتْ ربّها .
ولا خافت عدله ولا رعتْ حقّه .
ولـكنها جاءت تهمُّ بر بيبك .
لتطرحه أرضاً وتسدّد له مقتلا .
فاحذرها يا قلبى وابتعد .
وملْ إلى يمينك وجانب يسارك .
لأن السهم جاءه زارقا .
أوّاه — لقد أتاه صاميا .
وها هو يَرْميه لتوّه .
و ينفذ نصلُه فى صدره .
فقم وانظر إلى دمه المسفوح .
إنّه نقىّ كعينه .
إنّه قانٍ كوجهه .
إنّه عبقٌ كريحه .
إنّه فوّار كنشاطه .

ولقد قضى الأمر .

وكانت صرعته لك أمراً إدّا .

فانزو أيها الثاكل المسكين .

واهرب ولا تلو على شيء .

* * *

ايه — أيها القلب الفجيع

لقد عاش حبّك فيك .

كل هاته الأعوام الخمسين .

وهو يمصّ من عصيرك .

ويأنس بخفقانك .

ويطرب لضرباتك .

ويتدلّل بملعبك .

ويشمخرّ بعزّه وبحُصنك .

ولقد نما وكيف نما .

أليس بعذابك وهمّك نما .

وبعذابك وشقائك سما .

غير أنك صبرت على هذا الوليد الفريد .

وسكنتَ إلى هذا الربيب الحبيب .

طامعاً أن تراه دارجاً يافعاً .

وتنظر إليه جليلا عظيما .

فماذا جرى حتى وقفت بجنبه .

تندبه وتبكيه .

إذ خرّ صريعاً وتمدّد مذبوحاً .

أيجديك الندب والبكاء ؟

ويواسيك الحزن والعتب .

إلّا أن تموت كمدا .

وتقضى نحبك أسفا .

* * *

أوّاه — أيها القلب الفجيع :

مالى أراك فى حزنك الصامت العميق

الذى يحبس الدموع عن الانطلاق .

ويخنق الزفرات عن التصعيد .

مالى أراك تئنّ أنين الدفين .

تحت أنقاض ركن متهدّم .

* * *

قلبى الثاكل .

عال معى إلى المصرع وتهيّب
فقد أعدّوا العُدّة وكادوا ينتهون .
قم وانظر إلى جثمانه .
الذى كسوه بصنوف الزهر والريحان .
والتفت إليهن قادمات .
يتهادين بحللهن البيض الناصعات .
أولئك العذارى الساقرات .
لقدْ نقلنْـه إلى نعشـه .
وهاهن يحملنه على الأكتاف مترفقات .
كما لو كنّ يحملن حيًّا من الأشراف .

* * *

سرْ معى أيها القلب الفجيع .
ولنتبع هذا الحشد الهائل من أطفال الملائكة
الذين نزلوا للتشييع .
ولنمشى وراء صفوفهم المتتالية .
بعد أن نجلّل وجهينا بالسواد .
لئلا يعرف المشيّعون من أمرنا أمرا .
تمهّـل قليلا .

لأحمل بيدى عنك طاقة من الزهر .

كما فعل كل منهم .

واتئد فى دقّاتك .

وامش الهوينا وراء الخلق .

ولا تنس أن تجعل أنينك على إيقاع هذا الترتيل الحزين .

فإذا عجّوا بالبكاء والعويل .

فعجّ معى ومع هذا البحر الزاخر .

والطم على جدرانك فى هذه المناحة العامة .

واتركنى أجودُ بالدمع السائل الصبيب .

* * *

رويدك .

لقد وصلوا إلى المثوى بالقرب من تلك الدوحة الذابلة

وهاهن ينزلنه من على الأكتاف .

فهوّن عليك ياقلبى .

واتزن .

فعمّا قريب سيودع فى لحده .

ويُوارى حتى لا تعود تراه إلى الأبد .

* * *

آه — أيها القلب الفجيع :

وما حيلتُك فيما قضى الله وقدّر .

إلّا أن تخلد إلى سكينتك وتتجلّد .

حتى تستطيع أن تشيّع فلذتك بما تستحق .

واصبر على بلواك .

فعمّا قليل يتفرّق الجمع .

وتظل وحدك قابعاً بقربه .

ما كثاً إلى جنبه .

هنالك ناجه ماشئت .

وارثه بما شئت .

وانتحب على قبره كيف شئت .

وجاوره ميتاً كما لذت ولاذ بك حيًّا .

* * *

حبّي — سلام عليك إلى الأبد .

سلام عليك من هذا القلب الجريح .

الذى احتضنك و ربّاك وطلب أن يعيش فيك

غير أن القدر أبى .

ولا رادّ لابائه .

* * *

حبّى — سلام عليك إلى الأبد

لقد كنت حياتى وأنسى .

وسلوتى ومتعة نفسى .

فدعنى أبكيك وأرثيك .

أرقد رقدتك .

ونم فى مكانك غريبا وحيدا كما كنت

غريبا وحيدا كما جئت .

واتركنى أبكيك وأرثيك .

أنا الشقىّ العاثر الجدّ .

بعد أن أرتدى بأردية الـكآبة والألم .

وأتسربل بأثواب الأوجاع .

وأتقنع بأغطية التعاسة .

هذه الحياة سأقطع مرحلتها .

إثر هجمتك .

فى الألم الواصب والحيرة الصّماء .

وسأسير هائما تحت مظلّة الفاقة .

متعثراً فى مفازات اليأس

وليسخر منى من يريد — فما أبالى .

وليضحك منى من يشاء — فما أعنى .

حتى يأتينى أجلى

وألخرّ على صعيدك وثرى لحدك .

فأنام وأيّاك فريدين

كما عشنا فريدين

* * *

اللهم رحماك — خلصنى من عذابى .

وابعث إلىّ من رحمتك وشآبيب نعيمك .

إى ربّى ! أنت مزيل شدتى وراحم عبرتى وناصرى فى كربتى

أنت ربّى ، تعلم تزغات النفوس الضالّة وجمحات الأهواء المهلكة

كما أنت الذى تهدى الضال وتأخذ بيد المظلوم .

أنت يامن تسمع خفقات القلوب الآنّة .

وزفرات الصدور الحانّة .

هب لى من الإيمان مايبعث فىّ السكينة والصبر .

ويغمرنى بالعزاء والطمأنينة .

لك الحمد ولك الشكر فى اليسر وفى العسر .

فى النعمة وفى البلوى .